
قافلة الزيت
جمادى الاولى ١٣٩٧ - ابريل/مايو ١٩٧٧



منظر لجبل "اريبوس" على جزيرة روسي في قاعدة انتاركتيكا ،
ويرى في قمته الدخان المتصاعد من البركان النشط . تصوير : اوتكيستونيوز

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الخامس - المجلد الخامس والعشرون

تصدر شهريا عن شركة ارامكو لموظفيها - ادارة العلاقات العامة
"توزع مجانا"
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران. المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

المدير العام: فيصل محمد البسام — المدير المسؤول: عبد الله صالح جمعة

رئيس التحرير: عبد الله حسين الغامدي — المحرر المساعد: عوني أبو كشك

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع – الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

الشعر العربي

ماضيه وحاضره

إن اتصال الشعر المعاصر في حاضره بماضيه العريق انما هو انعكاس طبيعي لما ورثه مجتمعنا العربي وما ساده قديماً وحديثاً من وحدة التقاليد والعادات والأخلاق والأفكار والمشاعر ، وهي وحدة تنتظم تحت راية واحدة ، هي راية العروبة التي ثبتها العرب منذ فجر الاسلام في بيئات مختلفة .

والشعراء الأمويون هم الذين مهدوا لهذا التواصل الوثيق ، وتلاهم العباسيون فأوفوا به على الغاية من المزاوجة الدقيقة بين عناصر القديم وعناصر الجديد ، فهم مهما تطوروا بشعرهم وجددوا فيه يحتفظون بالأصول التقليدية التي تضفي عليه الجزالة والرصانة والرونق والبهاء ، وهم مهما اختلفت حياتهم عن حياة الأسلاف ومهما تأثروا بموءثرات حضارية وعقلية لا يزالون يستخدمون فنهم ويحسون حياتهم احساساً عميقاً .

ونضرب مثلاً « ببشار » رائدهم في هذا المضمار ، فانه انكب على التراث القديم انكباباً ، أتاح له أن يحوله الى نفسه بكل طوابعه في الصياغة ، فاذا شعره عربي أصيل ، سواء نظم في الموضوعات التقليدية من مديح وهجاء ، أو نظم في الموضوعات التجديدية التي تتطابق مع حياته الحضارية التي يحياها من غزل وغيره . وكان لا يزال يخوض في وصف الحياة الصحراوية البدوية بكثبانها وحيوانها ونباتها ، مع أنه يعيش في البصرة وبغداد ، وكأنه يريد أن يستتمم كل ما يمكن من تقاليد القدماء ، وقد تحول على ضوء ثقافته الجديدة يكثر من التلقيح والتوليد من المعاني والأخيلة الموروثة ، مستنبطاً كثيراً من الدقائق ، ومضيفاً كثيراً من الخواطر .

وخلف « بشاراً » على هذا النهج البارع من الملاءمة المحكمة بين القديم والجديد شعراء العصر العباسي جميعاً ، فهم يحتفظون بالأصول التقليدية في شعرهم ، وهم يجددون تجديداً لا يمحوها ، بل يزيدها ثباتاً وحياة وقوة ، وجرى في اثرهم على دروب ذلك النهج ومسالكه جميع الشعراء في العصور الوسيطة التالية ، مهما تقاربت أوطانهم أو تباعدت ، ومهما شرّقت أو غرّبت ، وكأنما الغيت بينهم المسافات المكانية ، كما الغيت المسافات الزمنية ، فلا حواجز ولا أسوار فاصلة ، بل دائماً اتصال وائتلاف واتحاد تام .

وهذا الاتحاد هو الذي يدفع بالفشل كل محاولة في عصرنا لتبين خصائص أدبية تنفرد بها أوطاننا العربية في عصورها الماضية ، كل وطن في مجاله اذا كانت بين هذه الأوطان دائماً صلات وثيقة ، تدفع الانفراد والتميز وتعقد التشابه والتماثل . ولنحذر الأحكام الأدبية العامة المضللة ، كأن يقال لنا مثلاً : ان الأندلس امتازت بشعر الطبيعة ، فقد كانت تشاركها فيه بعض الأوطان الأخرى ، وكان أهلها يعترفون دائماً بأنهم يغترفون من ينابيع المشرق وينسجون على منوال شعرائه . وأصدق شاهد على ذلك « ابن خفاجة » أكبر وصّاف للطبيعة عندهم فاننا لا نكاد نلمّ بالمقدمة التي وضعها بين يدي ديوانه حتى نراه يقول انه يقتدي في أشعاره بعبد المحسن السوري شاعر الشام وبالشريف الرضي ومهيار ، شاعري العراق . فهو يعلن بلسانه أنه ليس مبتدعاً لموضوع جديد ولا لأسلوب جديد ، بل هو مقلد لغيره من شعراء العرب الذين تقدموه ، وهذا نفسه ينطبق على الوشّاحين وتعديلهم في اطار قصيدتنا القديم وما ذهبوا اليه من المخالفة في موشحاتهم بين القوافي واعتمادهم فيها لا على وحدة البيت ، وانما على وحدة الشطر ، فانهم استمدوا في هذا الصنيع من الأراجيز القديمة ومن المسمطات والمخمسات التي عرفت منذ منذ القرن الثاني الهجري عند العباسيين .

واذا تركنا اطار الموشحات الخارجي الى مضمونها الداخلي وجدناه يتحد مع مضمون القصيدة الموروثة في مادته المعنوية ورواسبه التصويرية والخيالية ، فهو أصله وجوهره ، منه فصل ، واليه يرد . على أن الموشحات بمجرد أن ظهرت في الأندلس أسهمت فيها الأقطار العربية ، وأصبحت فناً عربياً عاماً ، لا يختص به قطر دون قطر .

يتضح من ذلك أن حاضر الشعر العربي في عصوره الوسيطة ظل مرتبطاً بماضيه وعناصره التقليدية ارتباطاً ، لا تنفصم عراه ، وكلنا نعرف ما أصاب مجتمعنا العربي من ركود ، حين نزل العثمانيون بديارنا ومع ذلك ظل تيار الماضي يجري في الشعر حينئذ ، رغم ما غشيه من ضعف وتأخر وجمود . وما نكاد نخرج من هذه المحنة حتى يجثم الغرب على صدر بلادنا ، وحتى نصارعه هذا الصراع العنيف الذي دعم قوميتنا ووحدتنا في الفكر والشعور ، وفي الآلام والآمال ، كما دعّم احساسنا بماضينا وكل ما رفده عبر التاريخ من قيم روحية ونفسية واجتماعية .

وفي أثناء هذا الصراع الحاد وأحداثه وتعلّمنا للغات الغرب ووقوفنا على آدابه لم ينصرف شعراوءنا يوماً عن الأصول التقليدية لشعرنا العربي ، بل لقد ازدادوا بها تعلقاً وشغفاً ، حتى هوءلاء الذين عكفوا على الآداب الغربية ، إذ مزجوا ما تأثروه منها بطوابع عربيتنا وما حذقوه من سليقتها وذوقها ، فاذا هو عربي الوجه والطراز ، بالضبط على شاكلة العباسيين حين التقوا بثقافات الهند والفرس واليونان ، فانهم أساغوها وتمثلوها وأحالوها عربية خالصة .

ومن المحقق أن الصلة بين شعرائنا المعاصرين وأسلافهم تدعم منذ القرن التاسع عشر بوسائل كثيرة ، منها المادي ومنها غير المادي ، إذ لم نكد نعرف المطبعة حتى أخذنا في نشر الدواوين والنصوص القديمة وتزويدها بكل ما نستطيع من أدوات الشرح والتفسير ، ولم نكتف بذلك فقد أخذنا نخضع أصحابها للبحث العلمي الدقيق على هدى الدراسات النقدية والتاريخية الحديثة . وبهذا كله أتيح لشعرائنا في عصرنا أن يفقهوا تراثنا الشعري فقهاً حسناً ، وأن يتبينوا تبيناً واضحاً

بقلم: الاستاذ السيد احمد ابو الفضل

سنته وتقاليده الفنية . وينفذوا من ثناياها الى كل ما يريدون من تطور بشعرهم وتجديد . بحيث لا نعدو الحق اذا قلنا أن شعرنا المعاصر ليس الا حلقة متممة لشعرنا الوسيط والقديم ، وكيف يستقل شعرنا عن الشعر الماضي وهو امتداد له وتعبير عن نفس مجتمعه وكل ما يجري فيه ظاهراً ومستتراً من ظروف وملابسات تاريخية وغير تاريخية .

وأنا لا أنكر أن نفراً من شعرائنا المعاصرين انفصلوا – الا قليلاً – عن تراثنا الشعري مندمجين في مذاهب شعرية غربية ، ولا تمت الينا ولا الى ذوقنا العربي بصلة ، على نحو ما نعرف عند أصحاب النزعة الرمزية وأدب اللامعقول ، وهم – بلا ريب – يعدون شذوذاً عن عرفنا الشعري ، اذ يعدلون عن الألفاظ الواضحة الشفافة التي لا تستر معانيها ولا تعميها إلى ألفاظ غائمة مبهمة لا ترسم المعاني رسماً محدوداً مضبوطاً ، بل تشير اليها من طرف خفي ، وقد تنبهم الإشارة وتستغلق استغلاقاً ، فاذا بنا ازاء ألغاز تستعصي على الفهم الدقيق .

وليس معنى ذلك أن نطلب الى الشاعر العربي المعاصر أن يعيش بمعزل عن مذاهب الشعر الغربي ومدارسه ، بل نحن نطلب اليه أن يقرأ هذه المدارس والمذاهب ويفيد منها ، ولكن دون أن يتحول بملكته اليها ودون أن يستأثر به ، ويصبح نسخة طبق الأصل من أهلها وأذواقهم فانه ان صنع خرج عن محيطنا ، وعن عالمنا وحدودنا وعن ملكتنا وتقاليدنا الفنية ، وأصبحنا لا نتذوق شعره ولا نعجب به .

ومما لا شك فيه أن الشعراء المعاصرين ظلوا يرضون ذوقنا مهما تأثروا بالآداب الغربية ، فهم الى جانب ذلك ما زالوا يقرؤن في شعرنا القديم ويدرسون ويتلقنون ، حتى انسكبت في نفوسهم أصوله التقليدية ، وحتى راحوا يصدرون عنها في شعرهم صدوراً طبيعياً كما يصدر الضوء عن الشمس والشذى عن الزهر .

ونستطيع حين ننظر نظرة فاحصة في مدارسنا الشعرية المعاصرة أن نتبين في وضوح مدى استعانتها بتلك الأصول التقليدية ، ووفائها بحقوقها الأدبية ، وهو وفاء ردّها – مهما اندفعت في التجديد – الى القصد والاعتدال والانتظام في نسق شعرنا العربي . ومعروف أن أول مدرسة تلقانا عند المعاصرين هي المدرسة التي تزعمها « البارودي » والتي كانت بدء الانطلاق في نهضتنا الشعرية ، وقد خلفه فيها كثيرون ، يتقدمهم شوقي ، وحافظ ابراهيم ، وخليل مطران في مصر ، وخليل مردم ، ومحمد البزم ، وشفيق جبري في سورية ، وسليمان البستاني في لبنان ، ومعروف الرصافي في العراق . وكان البارودي الذي أرسى قواعد هذه المدرسة يصرح بأنه يقلد القدماء ويعارض قصائدهم ، حتى يستأنف لشعرنا العربي حياته الخاصة بما يحيي من تقاليده ويصطنع من ألفاظه الجزلة الرصينة التي بعد عليها العهد ، وهو في تضاعيف ذلك يصور نفسه ووطنه وعصره وما كان به من أحداث سياسية خطيرة ، وخضع لتجارب كثيرة صورها في شعره ، فهو لم يكن يقلد القدماء بالمعنى الدقيق للتقليد ، كان يقلدهم في رصانة الأسلوب وجزالته ومتانته وما يحيط بقصيدته من اطار خارجي ، ولم يكن يعوقه هذا التقليد عن الاعراب عن عواطفه وعواطف أمته ومشاعرها ، وبهذا كله عدّ رائد الشعر العربي الحديث .

وأخذ تأثير الشعوب العربية يتسع عند تلاميذه ، ومن ساروا على منواله ، فاذا الشعر السياسي والوطني والاجتماعي يتفجر على ألسنتهم تفجراً ، فهم يتغنون عواطفها غناء حماسياً رائعاً ، مصورين آلامها وآمالها ومطامحها في الاصلاح ، وفي الحياة الحرة الكريمة ، بنفس الأسلوب الذي نهض به البارودي والذي يحاكي القدماء في قصائدهم ونسجها المتين . وقد نظن ظناً أن هذا الشعر الذي يصور عواطف شعوبنا العربية ليس له أصول قديمة الا في صياغته وديباجته ، والواقع أن له نسباً قديماً في نفس مضمونه ، فقد كان الشاعر في الجاهلية والاسلام يتغنى عواطف قبيلته في فخره ومديحه وهجائه . وتطوّر ذلك عند « المتنبي » ، وتلاه « أبو العلاء » .

وقد كثر القول بأن « شوقي » اتجه بشعره – مستضيئاً بالآداب الغربية – اتجاهات جديدة ، فنظم في قصص الحيوان مستخرجاً العظة والمثل ، وفي التاريخ المصري القديم والتاريخ العربي ، وفي التمثيل . ولكن حين نفحص مادة هذا النظم جميعه نجد الوشائج قائمة بينه وبين تراثنا السالف ، وكلنا نعرف قصص « كليلة ودمنة » وكيف صاغه « أبان ابن عبد الحميد » وغيره شعراً ، كما نعرف التاريخ المنظوم منذ « ابن عبد ربه » صاحب العقد الفريد . وحتى التمثيل ، أو بعبارة أخرى شعره التمثيلي نجده يعربه تعريباً تاماً ، بحيث تكاد تنعدم الفروق بينه وبين شعرنا الغنائي الا من حيث الحوار الذي يعرض فيه . أما بعد ذلك فطوابع شعرنا الغنائي بارزة به ماثلة ، سواء من حيث تصوير العواطف أو من حيث الصياغة والوزن والقافية ، وليس ذلك عيباً في شعر شوقي التمثيلي ، بل هو حسنة تضاف اليه ، إذ استطاع أن يلائم ملاءمة دقيقة بين هذا الفن الغربي وبين شعرنا الغنائي ، بحيث نجد فيه نفس المتاع الشعري الذي يغذي العقول والقلوب والأرواح . ومن نفس الطراز « خليل مطران » في شعره القصصي الدرامي الذي يتأثر فيه بعض الغربيين إذ صاغه من نفس مادة شعرنا الغنائية . وفي الاتجاه ذاته تعريب سليمان البستاني للإلياذة ، فان أصول شعرنا التقليدية لم تستعص عنده استيعاب منظومة « هوميروس » الطويلة ، بل أدتها أداء بديعاً ، ولعل في هذا كله ما يدل دلالة واضحة على أن مدرسة « البارودي » استطاعت أن تحتفظ لشعرنا العربي بتقاليده الفنية مهما جددت أو عربت من آداب الغرب .

ونمضي الى أوائل القرن العشرين فينشأ في مصر جيل جديد ، هو جيل عبد الرحمن شكري

والمازني والعقّاد ، وهو جيل كان يكثر من قراءة الآداب العربية والغربية ، وقد نفذ من خلال قراءاته الى اتجاه شعري جديد من حيث بناء القصيدة وموضوعها . أما من حيث البناء فقد ذهب هذا الجيل الى أنه ينبغي أن تكون القصيدة بنية حية متماسكة ، لا يتقدم فيها بيت ولا يتأخر عن موضعه ، وأما من حيث الموضوع فقد رأى هذا الجيل أن يعدّل موضوعات مدرسة البارودي ، وأن يكون الشعر حديث نفس ازاء الكون وأسراره ، والحياة الانسانية وما تزخر به من آلام وآمال .

وندّد هذا الجيل طويلاً بمدرسة البارودي ومحافظتها الشديدة على الصياغة التقليدية لشعرنا العربي ، ومضى يسعى الى التجديد سعياً حثيثاً ، غير أنه لم يقطع صلته بالقدماء ، فكل ما كان ينكره هو الاسراف في تقليدهم ، أما بعد ذلك فانه كان يكثر من قراءاتهم ويكثر من الاتصال بهم ، ولكن ليس هذا الاتصال القريب الذي ينتهي الى معارضة قصائدهم وتقليد صياغتهم ، وكل ما يميزها من شارات وسمات ، وانما الاتصال البعيد الذي تنساب من خلاله الظلال والشّيات ، ومن ثم كثرت مقالات هذا الجيل عن « بشار » و « أبي تمام » و « المتنبي » و « الشريف الرضي » و « أبي العلاء » و « ابن الرومي » وقد خصه العقاد بدراسة مسهبة دقيقة ، لعلها تدل دلالة بينة على صلته الفنية به .

ووفد علينا شعر عربي جديد من وراء البحار والمحيطات ، وهو شعر أولئك الذين هاجروا الى الامريكتين الجنوبية والشمالية ، وسرعان ما وجدنا أصحاب المهجر الجنوبي يلتحمون في شعرهم بعناصر شعرنا التقليدية على نحو ما نعرف عند الشاعر القروي والياس فرحات .

ونزع المهاجرون الى الشمال — وفي مقدمتهم جبران — نزعة قوية الى التجديد ، متأثرين بآداب الغرب ، غير أن من يتعمق أشعارهم يجدهم لا ينفصلون عنا ولا عن أسلافهم ، فهم ثائرون ثورة عنيفة على المدنية الغربية ، وهم يحنون حنيناً دائباً الى أوطانهم مستشعرين ما كانت ترزح تحته من أثقال الاحتلال ومنهم من يتأثر « أبا العلاء » في شكوكه ، ومن يتأثر « عمر الخيام » في حسيته ، ومن يتأثر « ابن سيناء » في قصيدته المشهورة عن النفس ، ومن يتأثر بالصوفية في منازعهم الروحية . فالعرب القدامى والمعاصرون لا يغيبون في شعر المهاجرين الى العالم الجديد شمالاً وجنوباً ، بل دائماً تربطهم بهم مشاعر وجذور وأعراق .

ولا نصل الى أواخر العقد الثالث من هذا القرن حتى عمّت الشعر العربي نزعة فردية قوية ، يتغنى فيها الشعراء عواطفهم الشخصية . ويعقد كثير من النقاد فصولاً لبيان ما بين هؤلاء الشعراء وأصحاب النزعة الرومانسية الغربية من مشابه . ومن الحق أنهم في نزعتهم يلتقون مع بعض الشعراء العباسيين الذين كانوا ينسون بيئاتهم العربية أمثال « أبي نواس » ولا يفكرون إلا في أنفسهم . وقد نلاحظ على أصحاب هذه النزعة أنهم كانوا لا يعمقون قراءتهم في تراثنا الشعري القديم ، غير أنهم أكبّوا على قراءة شعراء مدرسة البارودي ، فاتصلوا بهذا التراث اتصالاً غير مباشر . ونستطيع أن نرد كلاً منهم في يسر وسهولة الى الشاعر الذي كان يتخذه مثلاً أعلى له . فابراهيم ناجي ، مثلاً ، كان يقتدي بخليل مطران ويستسقي ينبوعه الوجداني ، بينما كان علي محمود طه يقتدي بشوقي ويستمد من ينبوعه الموسيقى وأصدافه اللفظية .

وكل ذلك معناه أن شعراءنا المعاصرين الى الحرب العالمية الثانية من هذا القرن كانوا يتصلون بأسلافهم اتصالاً منظماً ، وهو اتصال يختلف باختلاف مناهجهم وطرائقهم . فمنهم من يحاكي القدماء ، حتى لتتحول نماذجهم وصياغتهم الرائعة اليه ، على نحو ما رأينا عند أصحاب مدرسة البارودي ، ومنهم من يعمّق اتصاله بهم دون أن يبالغ في تقليدهم ، على نحو ما رأينا عند الجيل الجديد ، ويمكن أن نضم الى الأولين شعراء المهجر الجنوبي بينما نضم الى الأخيرين شعراء المهجر الشمالي . أما شعراء النزعة الفردية بين الحربين العالميتين فلم يشقوا على أنفسهم في تلقي تقاليدنا الشعرية ، بل اكتفوا بما تنسموه من عبيرها الأرج عند شعراء مدرسة البارودي ، وقد تحول كل منهم يتخذ لنفسه وشعره من بينهم قدوة .

وحتى الآن لم نعرض لصور من التطور حدثت في شكل قصيدتنا المعاصرة واطارها الخارجي ، ولعلنا لا نغلو اذا قلنا أنها جميعاً — ما عدا صورتين سنقف عندهما — لا تتعارض مع تقاليد شعرنا ومقوماته الموسيقية . اذ تدخل في صور قديمة منه ، كصورتي الشعر المزدوج والموشحات ، فان شعراءنا المعاصرين انتفعوا بالصورتين جميعاً ، فاشتقوا من الأولى نمطاً تزدوج فيه القوافي بيتين بيتين ، ونمطاً ثانياً تتقابل فيه ، بحيث تلتقي في البيت الأول والثالث وفي الثاني والرابع وهكذا . أما الموشحات فاشتقوا منها أنماطاً كثيرة تعتمد على وحدة الشطر وتنوع في القوافي تنويعاً كثيراً أو قليلاً ، وكل هذه الأنماط لها سند قديم في شعرنا العربي .

أما الصورتان اللتان أشرت اليهما وقلت أنهما تتعارضان مع شعرنا الغنائي وتقاليده الصوتية فأولاهما الشعر المرسل الذي يلغي القافية ويحطمها تحطيماً ، وكان من السابقين الى نظمه جميل الزهاوي في العراق ، وعبد الرحمن شكري في مصر ، وقد رفضه الشعراء ولم يستجيبوا اليه إلا قليلاً ، وبذلك لم يعش طويلاً . وأما الصورة الثانية فتنتشر في أيامنا ويكثر أصحابها ، وهي صورة تلغي القافية الغاء كالشعر المرسل ، وتلغي أيضاً وحدة البيت التي عشناها وعاشها أسلافنا في قصيدنا وشعرنا المزدوج ، وأيضاً تلغي وحدة الشطر التي عشناها وعاشها أسلافنا في الأراجيز والموشحات ، تلغي ذلك كله وتقيم مقامه وحدة التفعيلة ، ومن ثم تتألف المنظومة في هذه الصورة لا من أبيات وشطور ، بل من سطور ، والسطر يطول ويقصر ، فقد يكون تفعيلة واحدة أو تفعيلتين أو أكثر ، على غير قياس مطرد ، وتتخلل ذلك النقط والفواصل وعلامات الاستفهام والتعجب .

ومن الصعب أن ندخل هذه الصورة في دوائر شعرنا العربي بالمعنى الذي يتعارف عليه أصحاب هذه اللغة وأهل هذا اللسان ، لأن أصحابها يسقطون من حسابهم كثيراً من مقومات شعرنا الصوتية والموسيقية التي نطرب لها ، والتي ورثناها من شعرائنا القدامى وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من ذوقنا ونفوسنا ، وكأني بهم ينسون أن شعرنا غنائي وانه يقصد به دائماً الانشاد والتلحين ، وهو لذلك يكتظ بالأنغام .

وأكبر الظن أنه قد وضح تمام الوضوح من كل ما قدمناه أن شعراءنا المعاصرين الذين أسهموا بحق في نهضتنا الشعرية ما برحوا وثيقي الصلة بتراثنا الفني مهما اشتطوا بشعرهم وجددوا فيه ، بل مهما أسرفوا بهذا التطور والتجديد ، فهم جميعاً حتى من هاجر منهم الى العالم الأمريكي الجديد يعون هذا التراث وأصوله التقليدية وعياً يعكس لنا تواصلهم معه ومقدار هذا التواصل ، وحتى هؤلاء الذين حطموا القافية ووحدة البيت والشطر لا يزال خيط التفعيلة يصلهم بإرثنا الشعري وقديمنا الفني ●

السيد احمد ابو الفضل — القاهرة

الذّكرى الباسمة

للشاعر: طاهر زمخشري

يـا رُؤى الحُسْـنِ ، وأحـلامَ صِباهـا
أرجعـي الـذكـْرى بأيـامِ هَواهـا

أنـت مـا زلـت عـلى مبسمِهــا
همسـة يوقـظُ احسـاسِي صداهـا

أشْعِـريهـا أنهـا فـاتنـةٌ
تَبهـرُ الأعيُـن منـا ببهـاهـا

فهـي فينـا لـم تَزلْ ناضـرةٌ
مثلمـا كانـت وأحْـلى بـرضاهـا

والأسى حـاول أن يُـذْبِلَهـا
ولقـد كبّـل بالـوَهْـم خُطـاهـا

كيـف لا تُسْقَيْـن مـن أدمعُهـا
بعـد أنْ مـزّق أيّـامَ هنـاهـا

فـارو يـا حُبّ أزاهـيرَ الـرّضـا
في أسـاريـرِ المحيّـا فعسَـاهـا

إنْ تَنـاسَتْ كـلّ مـا مَـرّ بِهـا
ستُنـاغـي في الهَـوى من قد وعَاها

فهي مـا زالـتْ عـلى رغْـمِ الأسـى
وردةٌ ينعِشنـا طِيـبُ شَـذاهـا

° ° °

يـا رُؤى الحُسْنِ عـلى جَبْهتِهـا
نـوّري الأفـق برأدٍ مـن ضُحاهـا

بدّدي عنهـا الغشـاوات الـتي
تنشر الـذعْـر عـلى درْب سراهـا

اغسـلي الجُـرْحَ الـذي قـد شفّها
وتجـنّى فشجَـاهـا وبـراهـا

أرقصي التيـه عـلى اعطـافهـا
واسْكبـي اللحـنَ عـلى وقْع خُطاها

فالصّبـا الغـافِي عـلى أهـدابِهـا
يتمـنّى لـو صحـا حـتى يـراهـا

° ° °

يـا رؤاهـا ابتسِمي عـلّ المُنـى
إن رأتْهـا ابتسَمـت تجْلـو صَداها

فلقـد أوشَـك أن يغـرقهـا
هـول ما لاقتْـه في بحـر أسـاهـا

ووراء السّتْـرِ مـن ليـلِ الهـوى
أمـلٌ أحْنـا عليهـا فاحتَـواها

فانبَـرت تخطـو الى مأربِهـا
وستجْلوهـا الثّـريـا في عُـلاهـا

والصبـاحُ البـكر في نظـرتِهـا
غـرّد الاشعـاعُ يشْـدو لرؤاهـا

أخبار الزيت المصورة في أرامكو

تمشياً مع برنامج التوسعة والتحسين الذي تضطلع به أرامكو في تطوير مرافق صناعة الزيت ومنشآتها في المملكة العربية السعودية بين الحين والآخر، تحرص الشركة دائماً على اجتلاب أحدث المعدات والأجهزة وإضافتها إلى مرافق المعالجة والتصنيع في مناطق عملها الرئيسية .



إنشاء عوامتي ارساء جديدتين في الجعيمة

أكملت أرامكو مؤخراً بناء قائمتي ارساء برباط مفرد جديدتين في الجعيمة ، وبذا أصبح عدد مراسي التحميل خمسة ، وارتفعت طاقة الشحن الى ثلاثة ملايين برميل في اليوم الواحد . وبهذه الزيادة تكون الجعيمة أكبر ميناء للشحن في المياه العميقة . وكانت الناقلة « تكساكو – اليابان » أول ناقلة ضخمة ترسو على قائمة الارساء الجديدة رقم – ٤ في الجعيمة . ومن ناحية أخرى أضيف الى ساحة الخزانات في الجعيمة مؤخراً خزان لزيت الوقود سعته ٢٥٠٠٠٠ برميل . وتضم الساحة أربعة عشر خزاناً للزيت سعة كل منها ١٢٥٠٠٠٠ برميل ، وثلاثة خزانات لزيت وقود السفن سعة كل منها ٢٥٠٠٠٠ برميل •

استخدام طريقة جديدة لزيادة كفاءة شحن الزيت

تدخل طريقة قياس كميات الزيت الخام المشحون بالاعتماد التام على العدادات مرحلتها الأولى في عمليات الشحن في فرضة الجعيمة . وقد صممت هذه الطريقة التي تستخدمها أرامكو لأول مرة ، للعمل في الموانيء العميقة الغور ، وبواسطتها يمكن لثلاث ناقلات أن تأخذ حمولتها في وقت واحد ومن نفس خط الشحن القادم من الشاطيء الى الناقلة .



ومن ميزات هذه الطريقة الجديدة أنه يمكن بواسطتها استخدام أقصى طاقة للمضخات الموجودة على اليابسة بالاضافة الى ضخ ١٣٠٠٠٠ برميل في الساعة في كل من خطي الشحن ، من الشاطيء الى الناقلة . ونتيجة لذلك فقد أمكن تحسين دقة القياس وتفادي الأخطاء التي قد تحصل في عمليات قياس الخزانات . وتشمل الطريقة الجديدة هذه صمام تحويل رباعي الاتجاه يعتبر واحداً من أكبر الصمامات المماثلة في العالم إذ تبلغ قدرته ٢٨٠٠٠ رطل . ومهمة هذا الصمام الموجود على منصة الشحن البحرية هي توجيه كميات الزيت الخام التي يجري شحنها في الناقلات عبر خط داخلي مهمته اعطاء قراءة دقيقة لهذه الكميات . كما تشمل أيضاً عدادين لقياس نوعي الزيت الثقيل والخفيف يستطيع الواحد منهما تسجيل حوالي ٤٢٠٠٠ برميل من الزيت في الساعة الواحدة .

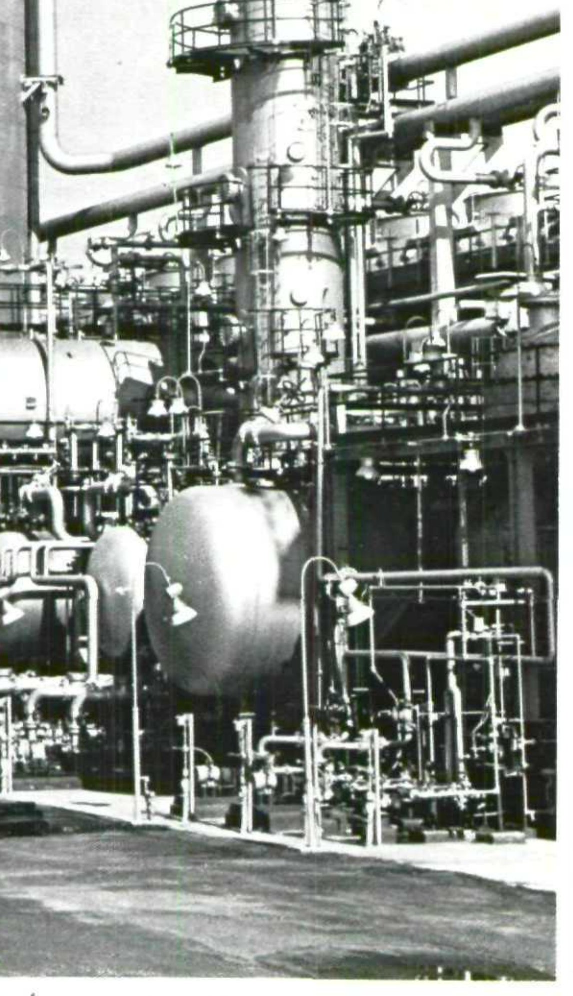
هذا وقد جرى أيضاً تركيب أربعة من هذا النوع من العدادات فوق كل منصة حيث تستطيع ثلاثة منها تسجيل كمية تتراوح بين ٩٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠ برميل في الساعة ، وهي الكمية العادية التي تجري تعبئتها في الناقلات من فرضة الجعيمة .

وتبدو في الصورة غرفة العدادات التوربينية الجديدة التي توجد فوق منصة العدادات الضخمة من الخارج والتي ترسل القراءات الى المشغلين وتخبرهم متى يفتحون أو يغلقون الصمامات ومتى يجرون التعديلات اللازمة على تدفق الزيت •

خزانات غاز البترول السائل ذات القباب الضخمة

أكملت أرامكو تركيب ثلاثة خزانات ضخمة لتخزين غاز البترول السائل سعة كل منها ٩٠٠٠٠٠ برميل . وتقع هـذه الخزانات الجديدة التي يبلغ ارتفاع الواحد منها ٨٠ قدماً في ساحة الخزانات في فرضة رأس تنورة . وتعلو كل خزان قبة الغرض منها الحفاظ على الضغط المقرر وجوده في هذه الخزانات الضخمة .

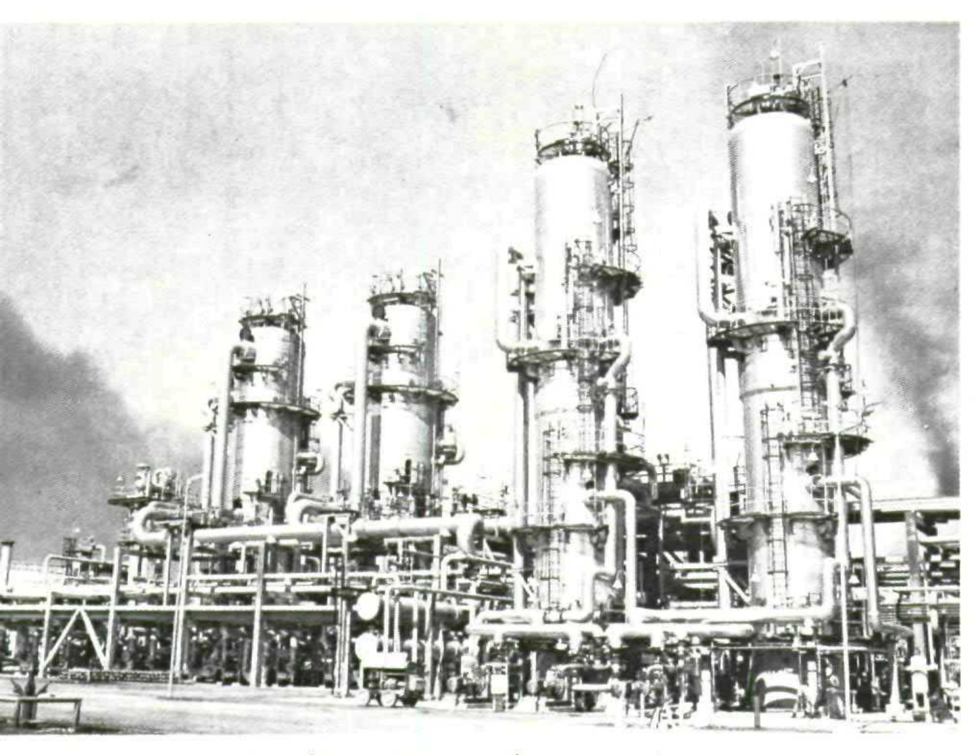
وهـذه الخزنات مصممة للمحافظة على درجـة حرارة منخفضة يتم بها تخزين غاز البترول السائل . وقد تم تركيب الخزانين الأولين من هذا النوع تمشياً مع برنامج التوسعة الذي تبنته أرامكو منذ عامين ، أما الخزان الثالث والذي خصص لتخزين البوتان الذي تجري تجزئته في معمل رأس تنورة رقم ٤٩٠ ، فقد أوشك على الانتهاء وسيجري ربطه بشبكة الفرضة في شهـر مايو القادم •



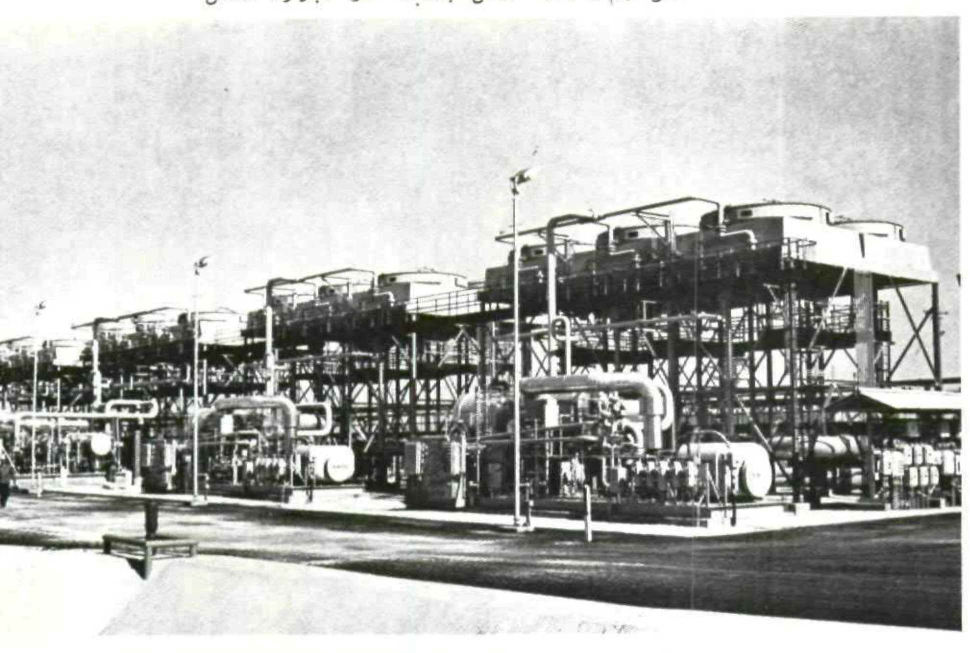
جزء من المعمل رقم - ١٠ برأس



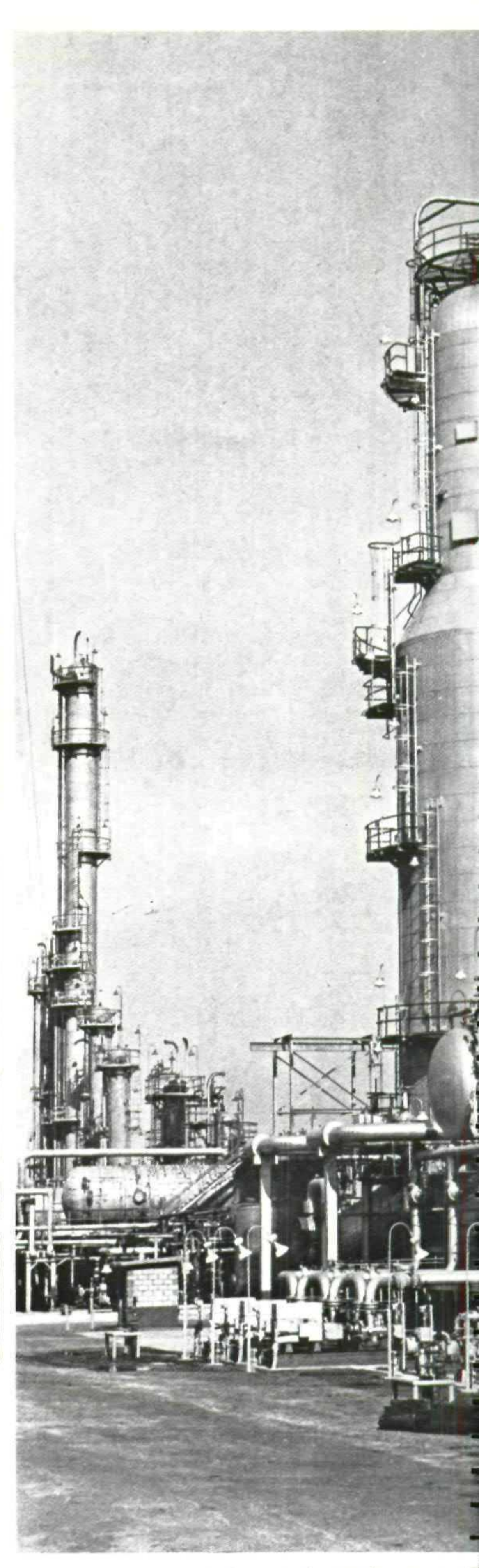
خزانات خاصة لتخزين غاز البترول السائل .



معمل رقم ـ ٥٩ الخاص بمعالجة غاز البترول السائل



جانب من مرافق تبريد غازي البوتان والبروبان التابعة للمعمل رقم – ٥٩ .



يجري نزع الايثان والميثان من الغاز .

اسلوب جديد لنقل الاسمنت

قام القسم الهندسي لتداول المواد التابع لادارة تخطيط المواد في أرامكو بتطوير أسلوب جديد يزيد في سرعة عملية نقل الاسمنت وتفريغه بنسبة خمسة أضعاف ما كانت عليه حتى وقت قريب وذلك باستخدام أكياس يتسع الواحد منها طناً من الاسمنت . وقد تم صنع وتطوير هذه الأكياس الكبيرة الجديدة بعد مشاروات أجراها القسم الهندسي لتداول المواد في أرامكو مع شركة بورتلاند للاسمنت وادارة الشراء وحركة البضائع في أرامكو عبر البحار ، وشركة بريطانية تعمل في صناعة الأكياس . وقد أمكن باستخدام هذا النوع من الأكياس تفريغ أربعة آلاف طن من الاسمنت في اليوم الواحد •



طريقة جديدة لتخزين البضائع

تبنت ادارة أعمال المخازن في أرامكو أسلوباً جديداً في مستودع مخازن المواد الجديد ، من شأنه توفير حيز كاف لخزن المواد ، ويتم بهذه الطريقة رص المواد وتخزينها الى ارتفاع عشرين قدماً . وتستخدم ادارة أعمال المخازن لهذا الغرض شاحنات خاصة مزودة برافعات من ذات الشوكة تعمل بالكهرباء ، يستطيع المشغل عن طريقها الوصول الى مختلف أصناف السلع الموجودة على الرفوف ثم وضعها على الشاحنة ونقلها الى الجهة المقصودة •

قارب آخر جديد ينضم إلى مجموعة قوارب أرامكو

انضم القارب جنا ــ ٤ الى مجموعة القوارب العاملة في أرامكو وهو بانتظار الفحص الأخير في الفرضة الغربية برأس تنورة قبل اعداده للعمل في فرضة الجعيمة . وجدير بالذكر أن القوارب الثلاثة الأخيرة التي وصلت الى أرامكو وهي : جنا ــ ٣ ، وجنا ــ ٤ وخريص ــ ٢ قد صنعت في حوض « برومات » لصنع السفن في سنغافورة حسب مواصفات أرامكو •



أسرة الوادي المبارك ودورها في تطوير الحركة الأدبية في المملكة

بقلم : الاستاذ عبد العزيز الربيع

عرفت المدينة المنورة منذ أقدم العصور بأجوائها العبقة الموحية مما كان له أثره الواضح فيما يمتاز به بنوها من احساس مرهف وشاعرية جياشة واستكناه عميق لأسرار الحياة . فكان معظم علمائها وقضاتها وحكامها ينظمون الشعر ويعبرون به عن مختلف أحاسيسهم وعواطفهم . وفي العصر الحديث . فقد تأكدت هذه الظاهرة بطريقة تدعو الى الدهشة بالنسبة لما هو معروف في غيرها من المدن والبلدان .

لقد عرفت المدينة المنورة الأندية الأدبية قبل أن تعرفها بعض البلاد العربية الأخرى . فكان بها ناديان أدبيان قبل حوالي ثلاثين سنة أي في الفترة التي كان يحبو فيها الأدب في معظم الأقطار العربية . وهذان الناديان هما : الحفل الأدبي . الذي كان يهتم بالبحوث والدراسات الأدبية واللغوية ويواكب الحركات الأدبية في البلاد العربية . ومن أبرز أعضائه الأستاذ السيد أحمد يس الخياري ، والأستاذ عبد القدوس الأنصاري . ونادي المحاضرات الذي كان يضم عدداً من الأدباء الذين يتجهون الى القصة والشعر والدراسات الفنية وكان من أبرزهم الأساتذة : ضياء الدين رجب . عزيز ضياء . علي وعثمان حافظ . وعبيد وأمين مدني . ومحمد حسين زيدان . ولهذا النادي نشاطات متعددة في ميدان الدراسات والبحوث وبعض الألوان الأدبية الأخرى .

لم تكد مشاغل الحياة ومطالب العيش تعصف بهذين الناديين وتبدد شمل أعضائهما في مختلف المدن حتى انبثق ناد جديد يضم عدداً من ناشئة الأدب في تلك الفترة أمثال الأساتذة ماجد الحسيني . ومحمد هاشم رشيد ، وحسن صيرفي . ومحمد العامر الرميح ، وعبد السلام حافظ . وما أن عاد كاتب هذه السطور (الطالب حينذاك بدار العلوم بالقاهرة) حتى انضم الى النادي الجديد . ثم انضم اليه الأستاذ عبد الرحمن سليمان رفه ، ومحمد كامل حجار . والعميد علي حسين عويضه . وتمر الأيام فتنشط الحركة الأدبية ويفد الطلبة المبتعثون للدراسات العليا فيتسع نطاق النادي ، وينضم الى أعضائه عدد جديد من الشباب من أبرزهم الأساتذة عبد الرحيم أبو بكر . ومحمد العيد الخطراوي ، وعبد الرحمن الشبل ، وأساتذة متمكنون من فنون الأدب في مقدمتهم المرحوم الأستاذ محمد سعيد دفتردار ، والأستاذ علي عمر قاضي ، والأستاذ سالم داغستاني . كما انضم الى الأسرة الأدبية عدد من كبار الشخصيات في طليعتهم معالي المرحوم حمزة غوث . وعبيد مدني . وأمين مدني ، ومصطفى عطار ، وجعفر فقيه .

ويشاء الله أن يكون صاحب السمو الملكي الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز . أمير هذه المدينة الطيبة ، مدينة الاحساس المرهف والذوق الأدبي الرفيع ، أديباً وشاعراً . وقد استطاعت أسرة وادي المبارك أن تشق طريقها وتؤدي رسالتها . وتنال ما تستحقه من اهتمام المسؤولين ورعايتهم بعد أن صدرت الموافقة السامية بالترخيص للأندية ودعمها . فتستأنف نشاطها بعزيمة وايمان لتؤدي الرسالة الكبيرة التي نذرت نفسها من أجلها .

ملامح من الماضي

لقد أسهمت أسرة وادي المبارك بنشاط ملحوظ في الميدان الأدبي منذ أصبح لها كيان واضح قبل بضع سنوات . فقامت بمحاولة مخلصة لتقويم الأدب السعودي والتعرف الى المستويات التي وصل اليها . . كما قامت بمتابعة الحركة الأدبية واستشعار اتجاهاتها الفنية . وبحثت عن التراث المطمور في مكتباتنا القديمة في محاولة لاخراجه الى النور .

وكان لبعض أدباء الأسرة دور بارز في بلورة تراثنا الفكري وبخاصة الشعر في بداية هذا القرن بالاضافة الى الجهود التي لا تزال تبذل لمواصلة السير على هذا المنهاج لتقديم صورة واضحة ودقيقة عن هذا اللون المتميز من ألوان الأدب في مدينة الرسول . صلى الله عليه وسلم ، على امتداد تاريخها الطويل .

والى جانب هذا النشاط الفكري استضافت الأسرة عدداً من كبار الأدباء والمفكرين في العالم العربي خلال زياراتهم للمدينة ، وناقشت معهم أهم قضايا الفكر والأدب والفن . وكثيراً ما حرصت الأسرة على أن تتابع مسار الأدب والفن عبر المجلات والصحف العربية التي تصل

اليها أو من خلال صفحات الكتب . وهناك لونان من ألوان النشاط حظيا باهتمام المسؤولين في الأسرة ، هما :

• التشجيع على اقامة الندوات والمحاضرات والحفلات الثقافية والاشتراك فيها بقدر الامكان .

• تشجيع الأجيال الجديدة على تذوق الأدب وممارسة الفن ومساعدة الناشئة على صقل أذواقهم وتنمية مداركهم ومواهبهم الأدبية .

وكثيراً ما كانت تلجأ الأسرة الى النقد الذاتي لتساعد كل عضو فيها على زيادة انتاجه الفكري ، فكان لذلك أثره في أن يحدث بها ما يحدث عادة في كل أسرة من الأسر مهما بلغ ترابط أعضائها من قوة ومتانة .

رؤى وتطلعات

لقد قامت «أسرة الوادي المبارك» بدور ايجابي وفعال في تنشيط الحركة الفكرية في المملكة العربية السعودية ، وبلورة مفاهيمها وتحديد أهدافها ، بالرغم مما كانت تعانيه من ضعف الامكانات وقلة الحوافز .

هذا وبلغ عدد أعضاء نادي أسرة الوادي المبارك الأدبية في بداية تكوينها حوالي خمسين عضواً بما فيهم الأعضاء المنتسبون . ولها تطلعات ورؤى طموحة تأمل في تحقيقها والوصول اليها في المستقبل ان شاء الله .

هناك حركة ثقافية متطورة تربط حاضر المدينة المنورة المتألق بماضيها الزاهر وتراثها العريق . وقد عرفت المدينة المنورة منذ أقدم العصور بانتاجها الحضاري وأصالتها الفنية ، وكانت ولا تزال مصدر الهام لكثير من المشاعر الروحية والانسانية العميقة . فلكثير من الأسر والأفراد البارزين مكتبات حافلة تضم الألوف من الكتب النفيسة بالاضافة الى المكتبات الملحقة بالمدارس المخصصة لأبناء الجاليات الاسلامية بها ويسميها أهل المدينة (الأربطة) . وقد تم منذ سنوات ضم بعض هذه المكتبات الى مكتبة المدينة المنورة العامة بعد عدد من المحاولات بدأها فضيلة الأستاذ السيد أحمد يس الخياري ، أول مدير لهذه المكتبة ومؤسس مكتبة الحرم المدني ، وتمت في عهد خلفه الأستاذ جعفر فقيه . ويتجاوز عدد المكتبات الخاصة والعامة بالمدينة المنورة مائة وخمسين مكتبة من أهمها وأكبرها :

• **مكتبة عارف حكمة :** وتقع جنوبي المسجد النبوي الشريف ، وقد قام بتأسيسها قبل حوالي مائة عام داود باشا والي المدينة المنورة آنذاك لحساب شيخ الاسلام بالدولة التركية الشيخ عارف حكمة . وتحتوي على أكثر من أربعة آلاف كتاب منها مجموعة قيمة من المخطوطات النادرة .

• **مكتبة المدينة العامة :** وقد أسستها الدولة في أعقاب تكملة توسعة الحرم النبوي الشريف الأولى التي بدأت في عهد جلالة المغفور له ، الملك عبد العزيز آل سعود . وقد أنشئت جنوبي المسجد مع مبنى دار القضاء الشرعي في عام ١٣٧٨هـ . وقد ضمت اليها المكتبة المحمودية التي أنشأها السلطان محمود خان داخل القسم الغربي الجنوبي من المسجد ، ومكتبة الحرم المدني التي أنشأها السيد الخياري في الجناح الشمالي من المسجد منذ حوالي ثلاثين عاماً وعدد المكتبات الأخرى التي نقلت الى المكتبة العامة ، أو تبرع بها أصحابها . كمكتبة الشيخ الختني الذي كان يعمل في تنظيم المكتبة العامة ، ثم أوقف مكتبته عليها قبيل وفاته .

• **مكتبة الملك عبد العزيز :** وقد وضع حجرها الأساسي جلالة المغفور له الملك فيصل ابن عبد العزيز عند زيارته للمدينة المنورة في بداية عام ٩٣هـ . وهي تقع جنوب غربي ميدان المناخة في مواجهة امتداد شارع الساحة من الناحية الغربية . وقد صممت على نمط المكتبات العصرية وزودت بكافة المرافق والمنشآت الحديثة مع احتفاظها بالطابع العربي الأصيل . وستكون مفخرة من مفاخرنا الحضارية لأهمية مكتبات المدينة من الناحية التاريخية ولما تحتويه من نفائس الكتب والمخطوطات .

• **مكتبة المصحف الشريف :** وقد أشرف على انشائها قبل خمسة أعوام السيد حبيب محمود أحمد رئيس مجلس أوقاف المدينة ، في الجناح الغربي للمسجد النبوي الشريف . وهي تحتوي على مجموعة قيمة من المصاحف الشريفة التي كتبت على أنماط مختلفة ، واللوحات المنسقة بأجمل الخطوط والأشكال ، وبعضها مكتوب بطريقة فريدة وبخط كبار السلاطين والحكام في العصور السالفة .

• **مكتبة السيد حبيب محمود أحمد :** وتحتوي على بضعة ألوف من الكتب معظمها في التفسير والحديث والتاريخ والثقافة العامة .

• **مكتبة عبد العزيز الربيع :** وتحتوي على بضعة ألوف من الكتب التي تبحث في علوم الدين واللغة والأدب والثقافة العامة وشتى فنون المعرفة .

وقد أنجبت المدينة المنورة عبر العصور نخبة من أعلام الفكر والأدب والثقافة ممن حفلت بهم كتب السير والتراجم والتواريخ . . . كما تضم في العصر الحاضر العشرات من هؤلاء الاعلام المشتغلين في شتى فنون العلم والمعرفة .

ومن أعلام الفكر والأدب الذين أنجبتهم أرض المدينة المنورة فضيلة الشيخ محمد الحافظ ، وفضيلة الشيخ عطية محمد سالم ، والأساتذة حماد الأنصاري ، وعبيد مدني وأمين مدني وكاتب هذه السطور ، وابراهيم العياشي ، ومحمد هاشم رشيد ، وحسن مصطفى صيرفي ، ومحمد العيد الخطراوي ، وعبد الرحمن الشبل ، وعبد السلام هاشم حافظ ، وعبدالرحمن رفة ، وعبد الرحيم أبو بكر ، ومحمد حميدة ، وعبد العزيز ساب ، وسالم داغستاني ، وحمزة قاسم ، وعلي عمر قاضي وأحمد فالح ، بالاضافة الى عدد كبير من رجال الأدب والفكر في المدينة المنورة التي عرفت منذ أقدم العصور بعراقتها في الأدب والفن ، والتي تحدث عنها أحد كبار الأدباء عند زيارته لها منذ قرن فقال : انه قدم الى المدينة المنورة وليس من بيت من بيوتها إلا وفيه شاعر .

ومن بين الأدباء والشعراء الذين ولدوا على أرض المدينة المنورة ودرجوا على ثراها وغذت مواهبهم أجواؤها الشاعرية العبقة الأساتذة : محمد عمر توفيق ، وضياء الدين رجب ، وعزيز ضياء ، ومحمد حسين زيدان ، وعلي وعثمان حافظ وياسين طه ، وغالب أبو الفرج ، وماجد أسعد الحسيني ، ومحمد أمين عبد الله ، ومحمد العامر الرميح ، ومحمود المشهدي ، الى عشرات غيرهم من كبار المسؤولين ورجال الفكر ممن يضمهم نادي أسرة الوادي المبارك الأدبية أو غيرها من الأندية الأدبية في كبريات مدن المملكة .

وبعد . . . هذه لمحة سريعة عن أسرة الوادي المبارك الأدبية التي أسهمت في حمل مشاعل الحركة الفكرية والأدبية في المملكة العربية السعودية •

عبد العزيز الربيع — المدينة المنورة

القارة المتجمدة الجنوبية
ثروة مجمدة

تتضافر جهود العلماء من أرجاء المعمورة لكشف النقاب عن القارة القطبية الجنوبية «انتاركتيكا» التي بقيت ردحاً طويلاً سراً مغلقاً تطويه القفار الفسيحة المكسوة بالجليد. ظلت هذه القارة الرازحة تحت وطأة نحو تسعين بالمئة من جليد العالم لغزاً مستعصياً على الانسان حتى الربع الثاني من القرن التاسع عشر، حينما اقتحم أكثر من مغامر تلك الاصقاع الثلجية في سبيل إماطة اللثام عنها. وقد ساعد التقدم العلمي في السنوات العشرين الأخيرة على الوقوف على حقائق كثيرة عن هذه القارة المتجمدة.

يقوم هذا العالم الجيوفيزيائي بحفر خندق في الطبقة الجليدية الكثيفة لتثبيت بعض الأجهزة العلمية الخاصة بدراسة طبيعة قارة « انتاركتيكا » .

منذ أن قام الكابتن « جيمس كوك – James Cook » الانجليـزي برحلته البحرية الثانية حول القارة القطبية الجنوبية في الفترة ما بين ١٧٧٢ و ١٧٧٥م والاستكشافات تتوالى عليها . وكان جيمس كوك أول انسان اجتاز الدائرة القطبية الجنوبية . ولم يستطع التوغل أكثر من ذلك الحد بسبب الكتل الهائلة من الجليد الطافي في البحار القطبية . ومع أن عينيه لم تقع على أرض ، إلا أنه تكهن فعلاً بوجود قارة مغطاة بطبقة كثيفة من الجليد . وقد كانت ملاحظاته التي دونها عن رحلته مثبطة للعزائم ، لأن القارة ، على حد تعبيره ، لا تمنح الوافد اليها سوى الجليد . بيد أن تلك الملاحظات لم تحل دون القيام بحملات علمية أخرى جندت لها كل من روسيا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية امكاناتها . ولم تلبث أن شاركت دول أخرى في تلك الحملات التي عبرت عن اهتمامها بالقارة المتجمدة . وبلغ السباق أوجه في أوائل القرن العشرين حين راحت بعثات مختلفة تجد في الوصول الى القطب الجنوبي . فأوفدت بريطانيا الكابتن « روبرت فالكون سكوت – Robert F. Scott » الذي سبق له أن قام برحلة ملحمية إلى القارة المتجمدة المنعزلة في الفترة ما بين ١٩٠١ و ١٩٠٤م أوصلته الى خط العرض ٨٢° جنوباً . ثم اضطر الى العودة بعد أن تعرض ورفاقه الى مصاعب جمة حالت دون مواصلته السير عبر الجليد . وأعدت العدة لرحلة سكوت الثانية فغادر بريطانيا عام ١٩١٠م على ظهر السفينة «تيرانوفا» . وقد كانت رحلة شاقة تميزت بالطموح والجرأة . وبالرغم من أنه تعيّن على بعثة الكابتن « سكوت » أن تقوم بقدر ملحوظ من العمل العلمي ، إلا أن هدف سكوت الأعظم كان الوصول الى القطب الجنوبي . ولقد تحول ذلك الهدف الى سباق مع الرحلة النرويجية بقيادة المستكشف « روالد أمندسن – Roald Amundsen » .

وصل « سكوت» بسفينته الى « مضيـق ماكموردو » الذي يعتبر أفضل مكان للتوجه منه نحو الهضبة القطبية . وفي نوفمبر ١٩١١م توجه هو ورفاقه نحو القطب مستخدماً الزحافات التي تجرها الكلاب وخيول « السيسي » حتى وصل سفح « ثلاجة بيرد مور – Beardmore » التي

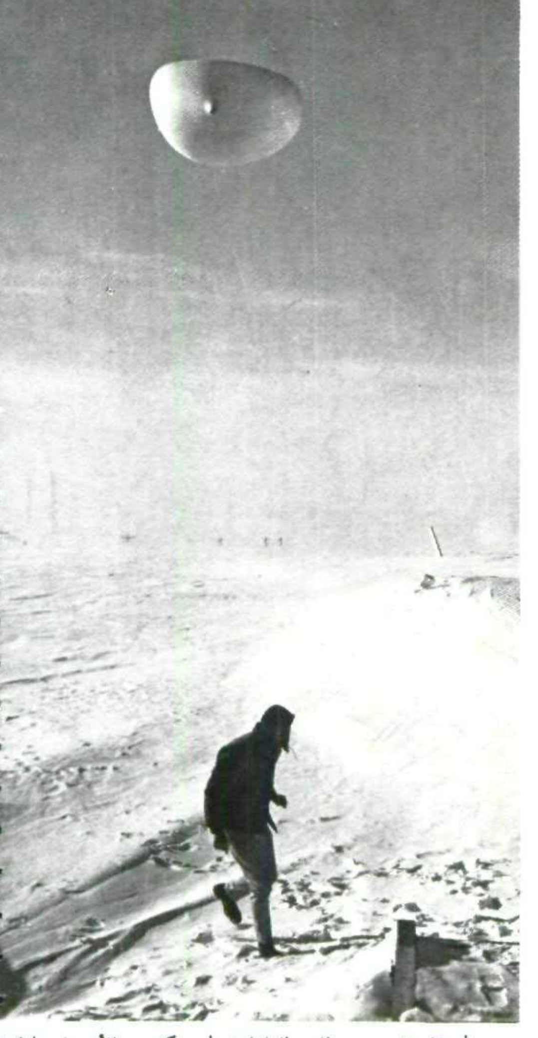


أول هبوط تاريخي لإحدى طائرات النقل الضخمة التابعة لسلاح البحرية الأمريكية ، على المنطقة المتجمدة الجنوبية في فصل الشتاء ، وتشاهد هنا وهي تهبط في قاعدة بيرد -Byrd Station للأبحاث العلمية في قارة « انتاركتيكا » .

احد علماء الأرصاد الجوية يسجل بعض المعلومات في « قاعدة سكوت – Scott Base » مقر برنامج الأبحاث في انتاركتيكا الذي تضطلع به نيوزيلندا .

كان عليه أن يتسلقها ليصل الى الهضبة القطبية . وكلت الكلاب أثناء الرحلة مما اضطره ورفاقه الى جر الزحافات بأنفسهم ، فأصابهم التعب والاعياء الشديد مما دفع بعضهم الى العودة ولم يبق من المسافة الى القطب سوى ١٥٠ ميلاً . وواصل سكوت المسيرة مع خمسة من رجاله ليقوموا بالسباق القصير السريع والأخير . وعندما وصلوا أخيراً الى القطب الجنوبي في ١٨ يناير ١٩١٢ أصيبوا بخيبة أمل مريرة عندما وجدوا احدى خيام « روالد امندسن » ، وأدركوا أنهم خسروا السباق . فقد وصل « امندسن » النرويجي القطب الجنوبي في الرابع عشر من ديسمبر ١٩١١ . وتحولت رحلة العودة الى كفاح مأساوي مرير سيما وكان الفصل شتاء ، فقد أصابهم مرض الاسقربوط وتعرضوا للعواصف الثلجية ونفدت مؤنهم ، فأحسوا بالاعياء الشديد فلاقوا حتفهم في تلك الاصقاع الباردة ، وكان آخر فصل في مذكرات « سكوت » قد كتب في التاسع عشر من مارس ١٩١٢ وجاء فيه : « لا أعتقد انه في امكاننا أن نأمل الآن في حال أفضل . فسوف نقاوم حتى النهاية ، لكننا نزداد ضعفاً بالطبع ولا يمكن أن تكون النهاية بعيدة . ومع ذلك فلا أظن أن في مقدوري مواصلة الكتابة ! » .

لم يكن ما كتبه وحققه الكابتن سكوت من نجاح ، وما حمله من عينات جيولوجية رغم الإعياء الشديد، آخر فصل في ريادة تلك القارة المجهولة ، بـل لا تزال الاستكشافات العلمية جارية حتى الآن . فمنذ منتصف هذا القرن والأبحاث العلمية القطبية مستمرة . وكانت نقطة التحول في هذا المجال في السنة الجيوفيزيائية العالمية ١٩٥٧/١٩٥٨م ، عندما أقامت اثنتا عشرة دولة ما يربو على ستين محطة علمية في نقاط مختلفة على القارة المتجمدة الجنوبية والجزر القطبية القريبة منها ، واليابسة المجاورة للمنطقة القطبية . وأكثر هذه المحطات يعمل على مدار السنة . وقد أعلنت اللجنة التي اضطلعت بتنظيم السنة الجيوفيزيائية أن المنطقة القطبية الجنوبية هي أفضل المناطق للتوسع في



في قاعدة بيرد يطلق العاملون في مكتب الأرصاد الجوية بالوناً لدراسة الأحوال الجوية السائدة في المنطقة .



« توني لانجستون » احد الفنيين العاملين في برنامج أبحاث نيوزيلندا في القارة المتجمدة الجنوبية وهو يسجل حركة التيارات القطبية قبل ان تداهمه عاصفة ثلجية اقتلعت العداد وقذفته في البحر ، واستطاع توني أن ينجو منها بأعجوبة .

الأبحاث والدراسات المتعلقة بالجيوفيزياء ، والجغرافيا ، والشفق القطبي ، والتوهج الهوائي ، والأشعة الكونية ، والمغناطيسية الأرضية ،و « علم الجليد — Glaciology » ، والجاذبية ، وفيزياء الطبقة المتأينة ، وعلم الأرصاد الجوية ، وعلم المحيطات وعلم الزلازل ، والنشاط الشمسي .

ويعلق الباحثون والعلماء أهمية علمية خاصة على القارة المتجمدة الجنوبية بسبب موقع القطب المغناطيسي فيها ، والذي له علاقة وثيقة بالظاهرة الكهرومغناطيسية .

تغطي القارة القطبية الجنوبية نحو ١٤ مليون كيلومتر مربع ، منها بضعة آلاف من الكيلو مترات المربعة خالية من الجليد ، وهي في هذا الاتساع تفوق مساحة الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك مجتمعتين . ويكسو الجليد معظم أجزاء القارة المتجمدة ، ويبلغ ارتفاع « الغطاء الجليدي — Ice Cap » في بعض مناطقها نحو ٤٦٠٠ متر ، كما تبرز رؤوس الجبال من السطح الجليدي في أماكن كثيرة . وهذا الغطاء الجليدي الهائل يجعل القارة المتجمدة الجنوبية تزيد في ارتفاعها على القارات الأخرى بنحو ألفي متر . وخلافاً لما ذكره الكابتن «كوك» فهناك مناطق ساحلية ينحسر عنها الثلج في فصل الصيف ، كما أن هناك بعض الأودية التي لا يقع عليها الثلج طوال السنة ، بيد أن هذه اليابسة الخالية من الثلج لا تزيد في مجموعها عن اثنين في المئة من مساحة القارة . وتعتبر القارة القطبية الجنوبية أبرد القارات وأجفها ، فقد ضربت رقماً قياسياً بأدنى حرارة سجلت ، إذ وصلت ٨٨ درجة مئوية تحت الصفر . ويبلغ معدل سقوط المطر فيها نحو ١٠ سنتيمترات في السنة ، ومع ذلك فانها تحتوي على نحو ٩٠ بالمئة من الجليد في العالم الذي تكون منذ ٢٠ مليون سنة . وهذا الجليد يمثل ما بين واحد واثنين في المئة من مجموع الماء في الكرة الأرضية . ولو قدر لهذا الجليد أن يذوب فجأة ويأخذ مجراه نحو المحيطات لارتفع به مستوى سطح البحر ٧٦ متراً ولابتلع بذلك معظم المدن الساحلية . ففي فصل الشتاء تتراكم الثلوج الى ارتفاع ثلاثة أمتار . وفي فصل الصيف تنشق كتل هائلة من الجليد وتنزلق في المحيطات على شكل « قطع ثلجية هائمة — Ice-bergs » . تسير شمالاً ، وتشكل خطراً على الملاحة في المحيطات التي تحيط بالقارة المتجمدة الجنوبية وهي المحيط الأطلسي والمحيط الهادي والمحيط الهندي . وبالاضافة الى ذلك فان الرياح العكسية التي تهب على المنطقة المحصورة بين خطي عرض ٤٠° و ٦٠° جنوباً ، وهي تمتاز بقوتها الاعصارية العنيفة طوال العام ، تمثل خطراً كبيراً على الملاحة . ولذلك فقد أطلق عليها البحارة عدة أسماء ترجع الى عهد الملاحة بالسفن الشراعية التي كانت تعاني من أخطار هذه الرياح

ثلاث كاسحات للجليد تابعة لسلاح البحرية الأمريكية تشق طريقها عبر كتل الثلج الهائلة بصعوبة بالغة في محاولة لانقاذ فريق من علماء الأبحاث البريطانيين حالت الكتل الجليدية دون وصول المؤن اليهم



احد العلماء الجيوفيزيائيين من شركة « بريتيش بتروليوم » يقيس الجاذبية على احدى قطع الثلج الهائجة في بحر ويدل — Weddell Sea

الاعصارية ، فأطلقوا عليها « الأربعينات المزمجرة — The roaring forties » و «الخمسينات العاتية — The furious fifties» و « الستينات الصارخة — The screaming sixties » . وتنتشر « العواصف الثلجية — Blizzards » في القارة القطبية الجنوبية وقد تستمر لعدة أيام ، ولذا فقد أطلق على القارة موطن العواصف الثلجية .

أمّا من الناحية الجيولوجية فان القارةالقطبية الجنوبية «انتاركتيكا » هي عبارة عن كتلة صلبة تتكون قاعدتها من « صخور نارية ومتحولة — Igneous and Metamorphic Rooks » . وقد تعرضت هـذه الكتلة فترة طويلة للتعرية فأصبحت سهلاً تحاتياً ، ثم غمرتها المياه ابتداء من العصر الديفوني ، فتكونت عليها طبقات رسوبية بها تكوينات نباتية ، وقد تأثرت كتلة « انتاركتيكا » وخاصة المنطقة المسماة « فكتوريا لانـد — Victoria Land » بالانكسارات . ولعل هذا ما يفسر وجود عروق الفحم في القارة .

وتعتبر القـارة القطبية الجنوبية أعظم منطقة في العالم لا تصلح لحياة الحيوان ، لكونها مغطاة بالجليد ، فلا توجد بها حيوانات برية على الاطلاق ما عدا القليل من الحشرات والكائنات الأخرى الدقيقة . أما المياه المحيطة بالقارة المتجمدة الجنوبية والأجزاء اليابسة منها والجزر القريبة ، فانها غنية « بالكائنات البحرية الصغيرة — Plankton » . والقشريات والأسماك والطيور ، وعجول البحر ، والحيتان ، والطحالب ، والحشائش البحرية الخشنة . ومن أشهر طيور المنطقة « البطريق — Penguin » وهي طيور برمائية تتغذى على حيوانـات « البلانكتون » مباشـرة . وهي جميلة الشكل يمكن استئناسها بسهولة . وهي تتهادى في البر منتصبة القامة ، وتعوم في البحر كالسمك ، كما تتميز عن غيرها بعدم قدرتها على الطيران . فهي تقضي معظم حياتها في البحر ، ولها أجنحة على شكل زعانف تستخدم في السباحة . وهي تتكاثر في البر حيث تبني أعشاشها الصغيرة من الحشائش ، وتضع في الغالب بيضة أو بيضتين . وأجمل أنواع البطريق هو البطريق الملك ، والبطريق الامبراطور الذي يبلغ ارتفاعه نحو ١٢٠ سنتيمتراً . وبالاضافة الى طيور البطريق تعيش طيور « النو — Petrels » الضخمة ، وطيور « الاسكوا القطبيـة الجنوبية —



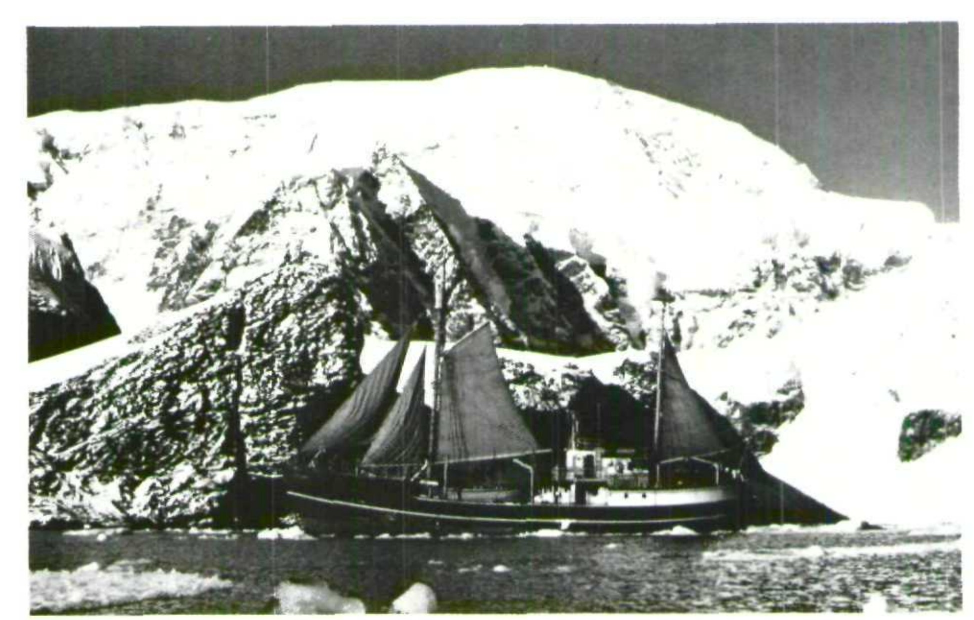
منظر لممر جليدي يؤدي الى قاعدة بيرد .

طائرة عمودية امريكية تهبط على مقربة من كوخ العالم موري ماكسافيني وزوجته اللذين يجريان دراسة على الأنهار الجليدية أثناء فصل الصيف في « انتاركتيكا » .

محطة « ماكموردو – McMurdo » لتوليد الكهرباء بالطاقة النووية التي تشرف عليها ادارة البحرية الامريكية ، وتعتبر بوابة القارة المتجمدة الجنوبية .

South Polar Skua » وتشبه طيور « النورس — Gulls » الكبيرة . وهي طيور جارحة تتغذى عموماً على بيض وصغار الطيور الأخرى . كما تعيش على حواف المنطقة الجنوبية أنواع مختلفة من طيور « القادوس — Albatross » ، وأكبرها القادوس الجوال الذي يبلغ طول جناحيه حوالي أربعة أمتار .

ومن الحيوانات الثديية التي تعيش في منطقة الجليد « الفقمة — Seal » ، أو عجل البحر التي تعتبر ذات قيمة كبيرة لدى معظم الصيادين . إذ يستخدم لحمها كطعام ، وزيتها للاستضاءة ، وفراؤها الثمين يباع بأسعار عالية . وصيد الفقمة هو بمثابة اختبار للبراعة . فكل ربع ساعة لا بد للفقمة من الصعود طلباً للهواء من خلال فتحات تصنعها في الجليد ، ومن ثم يتخذ الصيادون مواقفهم قرب هذه الفتحات . وحالما تظهر رؤوسها يرشقونها برماح « الحربون —



سفينة الأبحاث « هيرو » وهي تشق طريقها عبر كتل الثلوج .

طيور البطريق التي تعيش في المنطقة المتجمدة الجنوبية .

Harpoon » . ومن عجول البحر نوع يطلق عليه « عجل البحر الأرقط – Leopard Seal » وهي تتغذى على طيور البطريق ، ويقدر ما تحتضنه منطقة القطب الجنوبي من عجول البحر بما يربو على ستين مليوناً . كما تكثر في هذه المنطقة الحيتان الضخمة بأنواعها المختلفة ، وأشهرها « الحوت القاتل – The Killer » ، وهو مفترس يعيش على الأسماك وعجول البحر والحيتان الأخرى . أما أكبر أنواع الحيتان فهو الحوت الأزرق الذي يبلغ طوله نحو ٣٣ متراً ويزن أكثر من مائة طن .

هذه الثروة الحيوانية التي تحتويها القارة المتجمدة الجنوبية تؤلف مصدراً غنياً بالموارد الغذائية لا يستهان به . ومع ذلك فان أهمية القارة تكمن أساساً في كونها المعين البكر الذي يبلور معرفتنا العلمية وتطويرها وتوجيهها نحو خدمة الانسانية . ولذلك أقيمت

قياس كمية الضغط الواقع على «ثقب جليدي - Ice Hole »



احدى ناقلات الوقود وقد افرغت حمولتها في احدى محطات الأبحاث في المنطقة المتجمدة الجنوبية .





ثلاث كاسحات للجليد تعمل معاً لتفتيت قطعة ثلجية هائمة في المنطقة المتجمدة الجنوبية .



فريق بريطاني يقطع هضبة القطب الجنوبي





« محطة بالمر – Palmer Station » احدى محطات الأبحاث العلمية في « انتاركتيكا » .

جانب من محطة ماكوردو على حافة الهضبة القطبية الجنوبية .

كتلة جليدية عائمة في القارة المتجمدة الجنوبية .

محطات عديدة لأغراض علمية مختلفة ، ولا سيما محطات الأرصاد الجوية التي ساعدت العلماء على دراسة الظواهر الجوية والأنماط المناخية السائدة في معظم بلدان العالم ، وكذلك الوقوف على الأنماط المناخية التي كانت سائدة في أصقاع الأرض منذ مئات الآلاف من السنين عن طريق دراسة «عينات جليدية — Ice Cores» تستخرج من أعماق مختلفة في الغطاء الجليدي .

وفي مجال الأبحاث الفيزيائية فان الفيزيائيين يتخذون من القارة المتجمدة الجنوبية منصة لدراسة خطوط المجال المغناطيسي التي تمتد بعيداً في الفضاء الخارجي . فقد اتضح أن هذه الخطوط ترسل اشارات بين نصفي الكرة الشمالي والجنوبي . وتدل البيانات الصادرة عن « محطة سايبل — Siple Station » في القارة القطبية الجنوبية أن شبكات القوة الكهربائية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا تحدث موجات نابضة في خطوط المجال المغناطيسي في القارة ، الأمر الذي يشجع على القيام بدراسات مستقبلية تهدف الى الاستفادة من تلك الظاهرة في ميدان المواصلات العالمية .

ومن الناحية الجيولوجية فقد أثبتت الأبحاث وجود أنواع كثيرة من المعادن في القارة القطبية الجنوبية بكميات متفاوتة كالحديد والفحم والذهب واليورانيوم وغيرها ، بيد أن جدواها الاقتصادية لا تزال ضئيلة نظراً لصعوبة استخراجها عبر الغطاء الجليدي السميك. وعليه تبقى الثروة الحيوانية في المنطقة الجنوبية الجاذب الرئيسي باعتبارها مصدراً غذائياً هائلا . كما أن السياحة غدت مؤخراً من النشاطات الواسعة التي تعود بالنفع المادي الكبير على أصحابها . فهنالك شركات ملاحية تنظم رحلات بحرية الى بعض الأجزاء الساحلية من القارة المتجمدة الجنوبية خلال الصيف ، يستمتع السواح فيها بالمناظر الطبيعية الخلابة التي كانت حتى مطلع القرن العشرين حلماً للرواد الأوائل ●

سليمان نصر الله — هيئة التحرير

عن مجلة : « اويل لايف ستريم اوف بروجرس »

تصوير : « اوثنتيكيتد نيوز »



اول معمل لتوليد الكهرباء بالطاقة النووية يجري انشاؤه في قاعدة ماكوردو العلمية في « انتاركتيكا »



مشهد للسانين جليديين يمتدان نحو بحيرة ميرز في قارة انتاركتيكا .

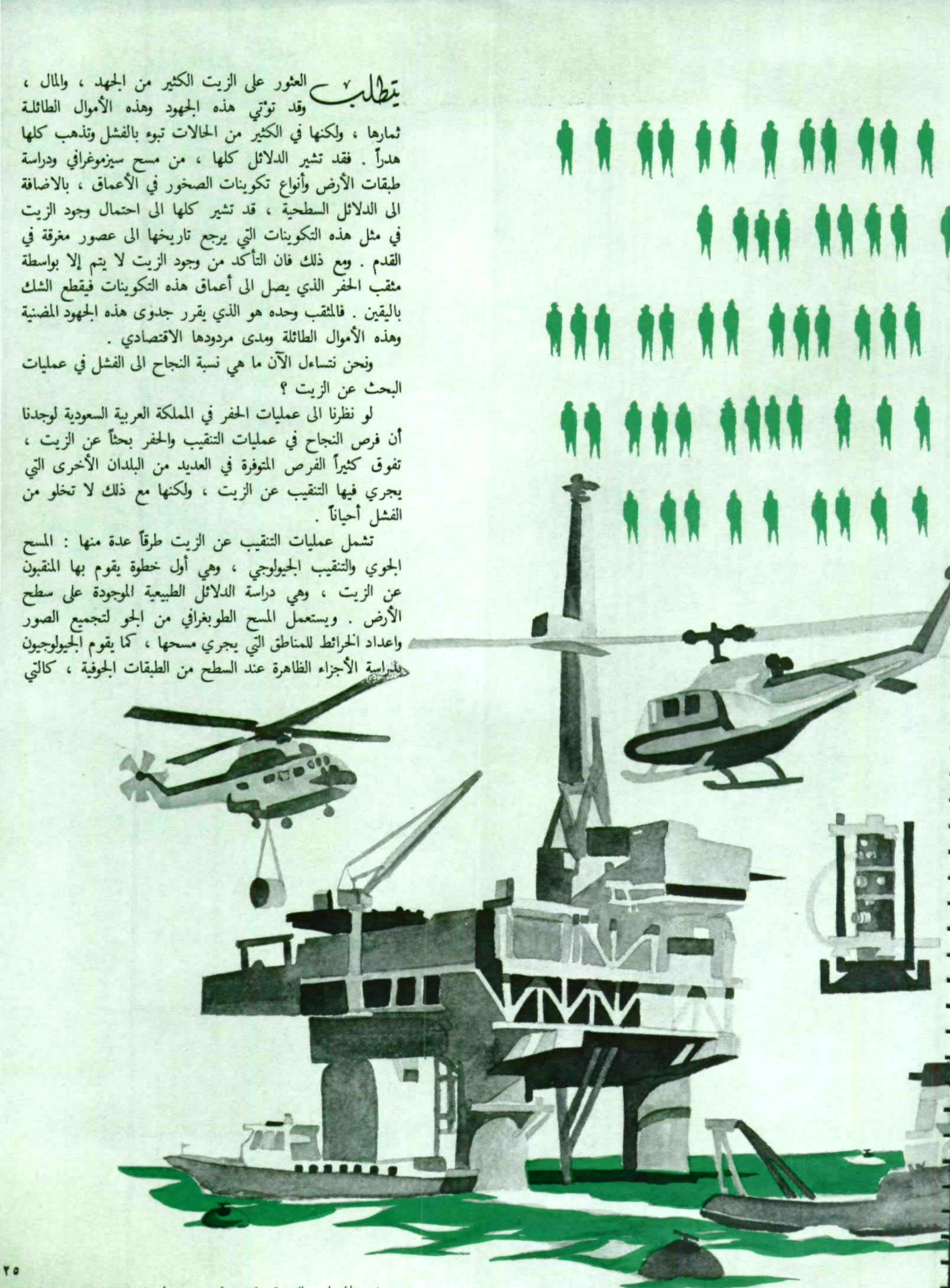
الحفر وفرص العثور على الزيت

يتطلب العثور على الزيت الكثير من الجهد ، والمال ، وقد تؤتي هذه الجهود وهذه الأموال الطائلة ثمارها ، ولكنها في الكثير من الحالات تبوء بالفشل وتذهب كلها هدراً . فقد تشير الدلائل كلها ، من مسح سيزموغرافي ودراسة طبقات الأرض وأنواع تكوينات الصخور في الأعماق ، بالاضافة الى الدلائل السطحية ، قد تشير كلها الى احتمال وجود الزيت في مثل هذه التكوينات التي يرجع تاريخها الى عصور مغرقة في القدم . ومع ذلك فان التأكد من وجود الزيت لا يتم إلا بواسطة مثقب الحفر الذي يصل الى أعماق هذه التكوينات فيقطع الشك باليقين . فالمثقب وحده هو الذي يقرر جدوى هذه الجهود المضنية وهذه الأموال الطائلة ومدى مردودها الاقتصادي .

ونحن نتساءل الآن ما هي نسبة النجاح الى الفشل في عمليات البحث عن الزيت ؟

لو نظرنا الى عمليات الحفر في المملكة العربية السعودية لوجدنا أن فرص النجاح في عمليات التنقيب والحفر بحثاً عن الزيت ، تفوق كثيراً الفرص المتوفرة في العديد من البلدان الأخرى التي يجري فيها التنقيب عن الزيت ، ولكنها مع ذلك لا تخلو من الفشل أحياناً .

تشمل عمليات التنقيب عن الزيت طرقاً عدة منها : المسح الجوي والتنقيب الجيولوجي ، وهي أول خطوة يقوم بها المنقبون عن الزيت ، وهي دراسة الدلائل الطبيعية الموجودة على سطح الأرض . ويستعمل المسح الطوبغرافي من الجو لتجميع الصور واعداد الخرائط للمناطق التي يجري مسحها ، كما يقوم الجيولوجيون بدراسة الأجزاء الظاهرة عند السطح من الطبقات الجوفية ، كالتي



بعض المعدات اللازمة لحفر بئر زيت في المنطقة المغمورة

على ضفاف الأنهار ، ومنحدرات الجبال وسفوحها . وتسجل الخصائص الفيزيائية لعينات من الصخور وتحفظ العينات للمقارنة بينها وبين عينات الصخور المأخوذة من المناطق الأخرى . وعلى ضوء هذه الدراسات تعد خرائط جيولوجية شاملة ومفصلة يستطيع الجيولوجيون من خلال دراستها وتحليلها معرفة العصر الذي تكونت فيه الصخور . وما اذا كانت تحتوي على طبقات حاملة للزيت أم لا .

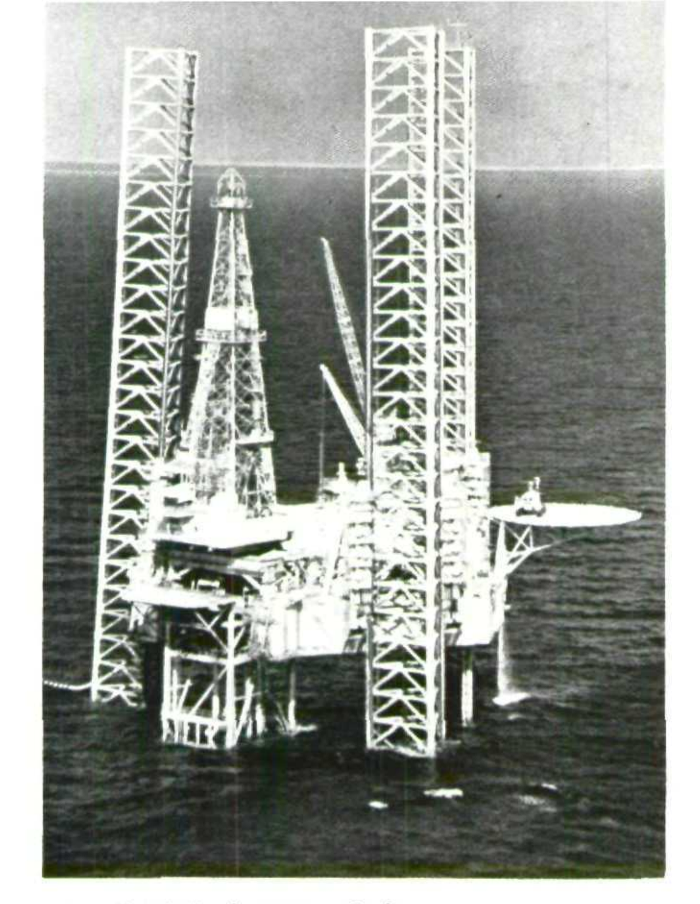
إلاّ أن المعلومات التي يمكن الحصول عليها من سطح الأرض محدودة وغير كافية . ولهذا لجأ العلماء منذ أواسط العشرينات من هذا القرن الى استخدام الطرق الجيوفيزيائية والأجهزة الفنية المختلفة لدراسة الطبقات الجوفية . وكان من أبرز هذه الطرق :

- **طريقة قياس الجاذبية :** وتعتمد على قياس التفاوت الطفيف في قوة الجاذبية الأرضية عند سطح الأرض .
- **الطريقة المغناطيسية :** وتعتمد على قياس قوة المجال المغناطيسي للأرض واتجاهه ، والاستدلال على طبيعة أشكال الصخور الجوفية الصلبة ومعرفة خصائصها المختلفة .
- **طريقة الاهتزازات الأرضية (السيزموغراف) :** وتيسر هذه الطريقة ما لا تيسره غيرها من الطرق في الوقت الحاضر من دلائل مباشرة تكشف النقاب عن تشكيلات الصخور الجوفية . وتعتمد هذه الطريقة على تفجير شحنة من المتفجرات عند سطح الأرض في أماكن مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض ، فيولد التفجير اهتزازات أرضية اصطناعية تشبه الزلازل الخفيفة فتحدث موجات صوتية تخترق طبقات الأرض حتى تصل الى الطبقة الصخرية الصلبة فترتد عنها . ثم تلتقط هذه الموجات المرتدة سماعات خاصة يضعها المنقبون بعيدة عن مكان التفجير ومتباعدة عن بعضها البعض ، وبعد ذلك تجري دراسة هذه التسجيلات وتحليلها لمعرفة أشكال تلك الصخور الجوفية .

فاذا ما دلت النتائج على أن تشكيل الصخر يشبه أحد الأشكال الرئيسية وهي المصدع والمحدب والطبقي فعندئذ يزيد احتمال وجود الزيت في المنطقة التي جرى التنقيب بها . وعندما يقرر الجيولوجيون مكان الحفر ، ينقل جهاز الحفر الى ذلك المكان . وتجهز الآلات ومضخات الدفع ، وغيرها من المعدات المساندة لعمليات الحفر ، كما تنقل الى الموقع الأنابيب اللازمة ، والاسمنت ، والطين ، وجميع المواد الأخرى ، وتبدأ عملية الحفر الى أن يصل المثقب الى مكمن للزيت ويعد البئر للانتاج ، أو تبوء العملية بالفشل فتهجر البئر وتعتبر بئراً جافة .

ان نسبة النجاح الى الفشل في العثور على حقل جديد للزيت تتراوح من « ١ » الى « ٩ » ، وترتفع هذه النسبة حتى تصل واحدا الى ٢٥٠٠ . وتختلف هذه النسب باختلاف البلدان التي يجري التنقيب فيها عن الزيت ، فقد تنخفض كما هي الحال في المملكة العربية السعودية أو ترتفع كما هي الحال في الولايات المتحدة الأمريكية . والشخص الوحيد الذي يقرر نجاح عملية الحفر ، هو المهندس المسؤول وراء مثقب الحفر .

لنذكر على سبيل المثال أن بئراً يراد حفرها فوق اليابسة في وادي « سان جوكوين » بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة ،

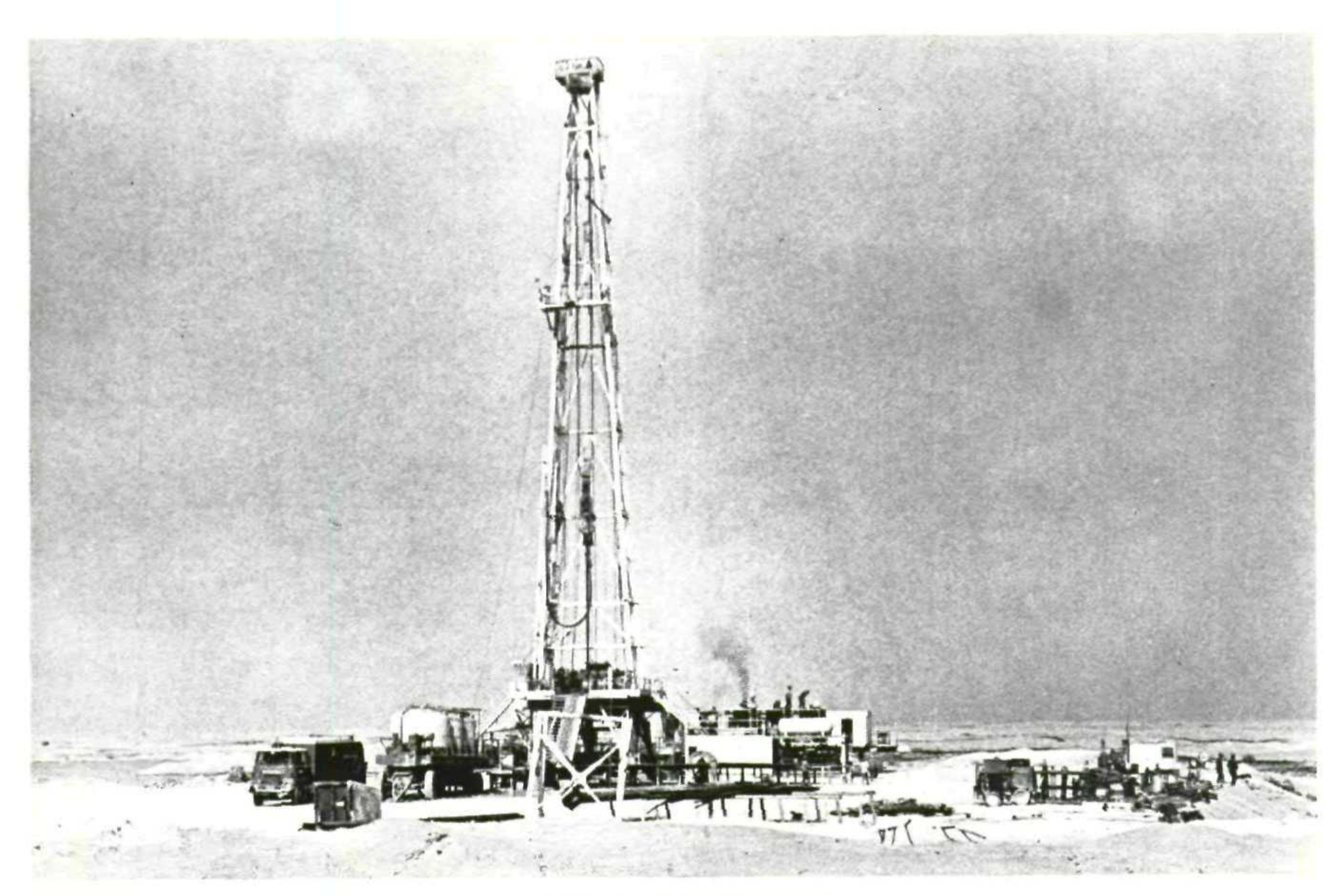


احدى منصات الحفر التابعة لأرامكو والعاملة في المنطقة المغمورة .

ولنقدر الجهود والأموال التي تبذل في حفر هذه البئر ، وخاصة اذا كان الحفر يجرى في فصل الصيف ، حيث تصل درجة الحرارة هناك الى حوالي ١١٥ فرنهايت ، ولنفرض أن تقارير الجيولوجيين تشير الى أن هناك احتمالاً بالعثور على الزيت في هذه البقعة على عمق ميلين أو أكثر يكمن في تكوينات جيولوجية تغطيها بقايا رمال نافذة المسامات لبحر قديم يرجع تاريخه الى فترة ما قبل التاريخ ، وكانت ترجمتهم العلمية تقول بوجود طية محدّبة مغمورة في الناحية الشمالية الغربية ، وفي الطية صدع يتوازى مع عمق هذه التكوينات ، فإن مثل هذه المعلومات عن الموقع المراد الحفر فيه قد تكون مشجعة ، ولكن امكان ترجمتها الى زيت أو غاز طبيعي بكميات تجارية ، أمر يرجع الى مثقب الحفر وحده .

ان عملية الانتقال الى موقع الحفر تستغرق عادة اثني عشر يوماً . وتقوم الجرارات الضخمة في المرحلة الأولى بجرف التربة القاسية وشق طريق للوصول الى موقع الحفر ، تليها مرحلة تسوية البقعة التي سيقوم عليها برج الحفر . وبعد ذلك تبدأ الشاحنات بشق طريقها حاملة أنابيب الحفر وأنابيب التغليف والمضخات والمحركات والحبال المتينة والكابلات الفولاذية ، وغير ذلك من المواد اللازمة لعمليات الحفر كالاسمنت ، والرمال ، والحصى ،

ثم يأتي دور برج الحفر حيث يرفع فوق منصة حديدية ثقيلة الوزن تثبت فوق البقعة التي سينزل اليها مثقب الحفر مباشرة . وبعد كافة هذه الاستعدادات يقفز الى الأذهان سؤال مهم وهو : هل سيعثر رجال الزيت على حقل جديد للزيت ؟ هناك احتمال



احدى عمليات الحفر على اليابسة .

واحد من تسعة احتمالات حول امكان العثور على حقل جديد للزيت واحتمال واحد من ٤٦ حول امكان العثور على احتياطي للزيت يكون مجدياً من الناحية التجارية ، وهناك فرصة من ٢٥٠٠ لاحتمال العثور على ما يسمى بمخزون ضخم للزيت .

ان تكاليف عمليات حفر بئر على اليابسة ، تقل عن التكاليف المترتبة على عمليات الحفر في المناطق المغمورة بنسبة كبيرة . كما أن تكاليف الحفر في بيئة مضطربة مثل منحدرات ألاسكا قد تصل الى أكثر من اثني عشر ضعف تكاليف الحفر فوق اليابسة في منطقة مثل كاليفورنيا .

ان ارتفاع التكاليف المترتبة على عمليات الحفر في الولايات المتحدة لم يحد من نطاقها ، بل على العكس من ذلك فقد ارتفع معدل الحفر هناك ، بحيث أن أكثر من ١٤٠٠ برج للحفر كانت تعمل بانتظام في صيف عام ١٩٧٤، أي بزيادة ٣٠٠ برج للحفر على عدد الأبراج التي كانت تعمل خلال الفترة نفسها من عام ١٩٧٣ .

ومن ناحية أخرى أفاد معهد البترول الأمريكي أن عدد الآبار التي أنجزت في الولايات المتحدة في الربع الأول من عام ١٩٧٤ بلغت ٧ ٢٧٧ بئراً على اختلاف أنواعها . أي بزيادة نسبتها أكثر من ٨ في المئة على عدد الآبار التي تم حفرها في الفترة نفسها من عام ١٩٧٣ .

على أن هناك احتمالاً للحد من اتساع نطاق عمليات الحفر في الولايات المتحدة الأمريكية نظراً لوجود نقص في أنابيب الحفر مما قد يترتب عليه تخفيض في حجم برامج الحفر ، الأمر الذي قد يؤثر مباشرة على صناعة أبراج الحفر ، حيث وضعت صناعة البترول في حساباتها بناء حوالي خمسمائة برج حفر جديدة . وتقوم الشركات الأمريكية بصنع ٨ في المائة من مجموع أبراج الحفر المطلوبة .

وهناك تزايد مستمر في عمليات التنقيب عن الزيت في الولايات المتحدة ، ويقابل هذا التزايد في عمليات الحفر تزايد في صرف الأموال على رخص التنقيب ، فقد بلغ مجموع المبالغ التي دفعت مقابل الحصول على حقوق التنقيب في خليج المكسيك وفي الأسكا في العام قبل الماضي ٢٥٩ مليون دولار . ومثل هذه الأموال الطائلة لا تضمن أي مردود أبداً وانما هي لمجرد السماح للشركات بالبحث عن الزيت . وليس هناك أية ضمانة من أي نوع لنجاح عمليات التنقيب . ومن الطبيعي أن شركات الزيت لا تستطيع التهاون في هذا الأمر . فكل شركة من شركات التنقيب عندما تقدم على استصدار رخص التنقيب وتدفع مثل هذه الأموال الطائلة تكون في الواقع مستندة الى الكثير من الأدلة أو الدلائل الطبيعية القوية التي تشير الى احتمال العثور على الزيت بكميات تجارية .

وهكذا نرى أن الحفر وحده هو الطريقة الوحيدة التي تقرر ما اذا كانت هناك احتمالات للعثور على الزيت في باطن الأرض أم لا ●

اعداد : يعقوب سنان - هيئة التحرير

عن مجلة « بوليتن »

من حصاد الكتب

صفحات مجهولة من حياة زكي

في « دائرة معارف الشعب » كتب الدكتور جمال الدين الرمادي دراسة قيمة عن الأديب الراحل الدكتور زكي مبارك استهلها بهذه السطور :

«حصل من الدرجات العلمية على اعلاها وأرقاها ، وفاق بدرجاته أقرانه ولداته ، فأصبح هدفاً لحسد الحاسدين ، وقد أضرته درجاته العلمية أكثر مما نفعته . . عرف بين الناس « بالدكاترة » زكي مبارك ، فكان في هذا عزاؤه وهناءته في الدنيا ، وبه ازدهى وافتخر . حصل زكي مبارك على الدكتوراه من الجامعة المصرية عام ١٩٢٤ عن رسالته « الأخلاق عند الغزالي » ، وحصل على دكتوراه ثانية عام ١٩٣١ من جامعة السوربون في فرنسا عن كتابه « النثر الفني في القرن الرابع الهجري » ، وحصل عام ١٩٣٧ على دكتوراه ثالثة من الجامعة المصرية في طورها الجديد عن كتابه « التصوف الاسلامي » ، ولكن العلم يغني العقول والقلوب ولا يغني الجيوب ، ولذلك عاش زكي مبارك طيلة حياته يخدم الأدب ، ويؤلف الكتب وينظم الشعر ثم فارق الحياة لا يملك من متاع الدنيا الا الذكر الحسن . . والذكر للانسان عمر ثان ! »

والحق الذي لا يمارى فيه منصف ان الدكتور زكي مبارك كان اديباً واسع الثقافة . . كتب في كل فنون البيان ، وأثار كثيراً من القضايا وحرك الحياة الأدبية في مصر والبلاد العربية ، وقدم صفحات رائعة من الأدب الخالد باسلوب بلغ الغاية من البلاغة والرصانة .

وعن هذه الحياة الحافلة الف الأستاذ محمد محمود رضوان كتاباً عنوانه « صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك » صدر في سلسلة « كتاب الهلال » . وقد اثار هذا الكتاب كثيراً من الأحاديث وحرك كثيراً من الأدباء ليكتبوا عن هذا الأديب الراحل ، فكتب الأستاذ أنيس منصور بعد صدور الكتاب بأيام في بابه المشهور « مواقف » بجريدة « الأخبار » المصرية ، فقال :

« ان مؤلف الكتاب شاب قد اختار رجلاً من جيل سابق على جيله وكأن هذا الاختيار نوع من استئناف الحكم في قضية زكي مبارك ، وصورة من صور طلب العدل ورفع الغضب عن فنان كبير عاش مظلوماً ، ومات مظلوماً . ان هذا الموقف من المؤلف الشاب ليس فنياً فقط ، انما هو موقف اخلاقي أيضاً لأنه لم يختر فناناً كبيراً ، وانما اختار انساناً شقياً بنفسه وبالاخرين ، ومن الغريب ان شقاوته هذه امتعت كل من يقرأ قصة حياة زكي مبارك » .

وكتب الدكتور عبدالله خورشيد في العدد ١٦ من مجلة الثقافة المصرية الصادر في يناير ١٩٧٥ مقالاً عنوانه « زكي مبارك زعيم وجداني » . . وبالرغم من انه لم يشر الى الكتاب الا اشارة عاجلة في سطور قليلة هي هذه السطور : « كتاب محمد محمود رضوان « صفحات من حياة زكي مبارك » الذي صدر في القاهرة اخيراً جاء بمثابة تنبيه الى ذلك الأديب حقاً ، المنسي فعلاً . وكلمتنا هذه ليست أكثر من مشاركة في هذا التنبيه » . الا ان كل ما في المقال قد اخذه الكاتب عن كتاب محمد محمود رضوان ! !

وفي العددين ١٧، ١٨ من مجلة الثقافة الصادرين في فبراير ومارس ١٩٧٥ ، كتب الأستاذ فتحي رضوان دراسة مستفيضة بعنوان «عصر ورجال . . ظاهرة زكي مبارك» اشاد فيها بكتاب محمد محمود رضوان واعتبره مرجعاً مهماً ، ونقل منه فقرات عديدة أشار اليها . .

ويقول الأستاذ الراحل صالح جودت في مقدمة هذا الكتاب :

« مات زكي مبارك فلم يذكره احد من معاصريه الا بكلمات عابرة تذهب مع الريح ، ولهذا اكبرت هذا العمل « صفحات مجهولة من حياة زكي مبارك » والذي شاء الأديب محمد محمود رضوان ان يضرب به مثلاً في الوفاء أعده من أكرم الأمثلة لأنني لا أحسب أنه رأى زكي مبارك ولا عرفه عن قرب ، ولكنه عرفه عن حب الكلمة الخالصة والروح الشفافة ، والأمانة للأدب والتاريخ . وهكذا خرجت هذه الدراسة الموضوعية الواعية لحياة زكي مبارك ، جامعة لكل نواحيه كفلاح اصيل نشأ في عمق احضان الريف المصري ، وشق طريقه حتى وصل الى اعلى مستويات العلم في الأزهر ثم في الجامعة المصرية ثم في باريس وجاهد من اجل العلم والدين والعروبة في مرابع القاهرة ومراتع بغداد . . »

ويقول مؤلف الكتاب في التصدير الذي يلي المقدمة ، والذي اطلق عليه عنوان : «زكي مبارك .. ذلك المجهول .. ١٨٩١ - ١٩٥٢» :

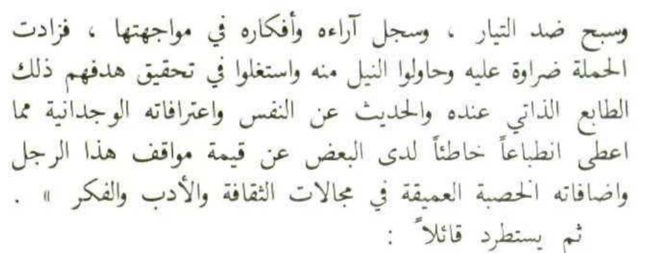
«لقد عرضت في هذا الكتاب لمواقف زكي مبارك الفكرية الاصيلة على الصعيد المصري والعربي والاسلامي ، ولقد اتخذ موقفاً صلباً شجاعاً في فترة كانت تموج بشتى التيارات الوافدة والمذاهب الهدامة فضلاً عن تلك الدعوات الاقليمية الضيقة ، فعارض كل ذلك

مبارك



تأليف : محمد محمود رضوان

عرض وتعليق : الاستاذ سعد حامد



وسبح ضد التيار ، وسجل آراءه وأفكاره في مواجهتها ، فزادت الحملة ضراوة عليه وحاولوا النيل منه واستغلوا في تحقيق هدفهم ذلك الطابع الذاتي عنده والحديث عن النفس واعترافاته الوجدانية مما اعطى انطباعاً خاطئاً لدى البعض عن قيمة مواقف هذا الرجل واضافاته الخصبة العميقة في مجالات الثقافة والأدب والفكر » .

ثم يستطرد قائلاً :

« ولقد اردت بكتابي هذا ابراز بعض الجوانب المجهولة الغامضة في حياته والوصول الى « مفتاح شخصيته » وهو « الصدق والصراحة » وقد انعكس هذا على أدبه الذي اتسم « بالصدق والغني » مما اكسب أدبه صدقاً وحرارة وعمقاً وبذلك القيت الأضواء على الكثير من مواقفه وكتاباته » .

ثم يقول :

« في هذا الكتاب تحدثت عن الحياة الأدبية والنفسية والوجدانية للدكتور زكي مبارك ، واستخدمت المنهج النفسي في أدب التراجم والسير الذي يعنى بالتركيز على النفوذ الى صميم خفايا النفس الانسانية للوصول الى « مفتاح شخصية » المترجم له ومن ثم القاء الأضواء على ما يكتب فربطت بين زكي مبارك الكاتب والانسان وحللت شخصيته على ضوء تموجات نفسيته من خلال ما كتبه في أطوار حياته المختلفة » .

وقد قسم المؤلف كتابه الى خمسة فصول : حياته وثقافته — المرأة في حياته — ملامح شخصيته — معارك زكي مبارك الأدبية — مأساة عاشق الجمال .

وفتن زكي مبارك بالشعر منذ طفولته ، فكان لا يجد كتاباً يحوي أبياتاً من الشعر الا انكب عليه وحفظ ما فيه عن ظهر قلب حتى وقع في يده ديوان امير الشعراء احمد شوقي فقرأه بشغف واهتمام وحفظ قصائده ، وقرأ في تلك الحقبة العديد من دواوين الشعراء وكتب التراث القديم فضلاً عن القرآن الكريم الذي كان له أكبر الأثر في صقل موهبته الأدبية واثراء اسلوبه .

وتزوج زكي مبارك في سن مبكرة . وهو في السادسة عشرة ، من احدى قريباته ، وكان ثمرة هذا الزواج خمسة ابناء . وبرغم الفارق الثقافي بينه وبين زوجته الريفية البسيطة ، فان حياتهما كانت هادئة سعيدة ، وقد كرست هذه السيدة حياتها لإسعاد زوجها وحفظت قلبه من الهموم ، فاعترف لها بالجميل في قوله :

« يسرني ان اسجل اعترافي بالجميل لزوجتي الفلاحة التي سارت سيرة امها واختها فحفظت قلبي سليماً من الهموم التي تزلزل عزائم الرجال » .

وعندما بلغ السابعة عشره من عمره ، رحل الى القاهرة ليلتحق بالأزهر الشريف ، وكان ذلك حوالي عام ١٩٠٨ ، وفي الأزهر نهل من التراث العربي ، وبدأت مواهبه تتفتح وبرز على اقرانه ، واتجه الى روض الأدب يقرأ روائع الشعر العربي قديمه وحديثه ، ودرس اللغة الفرنسية معتمداً على مجهوده الشخصي وأجادها وقرأ بها روائع الشعر الفرنسي واخذ ينظم الشعر بغزارة ، واتسم شعره وقتئذ بالقوة وجزالة اللفظ ومتانة النسج وطول القصائد ، ويرجع ذلك الى تأثره بالشعر العربي القديم بتأثير ثقافته الأزهرية ، ثم بدأ شعره يتجه نحو البساطة والسهولة والرقة وجمال الموسيقى بعد قراءاته لروائع الشعر الفرنسي القديم والحديث .

وهكذا مضت حياة زكي مبارك في الأزهر أكثرها حرمان وعذاب حتى أتم دراسته به ونال شهادته عام ١٩١٥ . وكان قد اتصل بالجامعة المصرية القديمة في نوفمبر عام ١٩١٣ بصفة غير رسمية ثم انتسب اليها بصفة رسمية عام ١٩١٦ والتحق بكلية الآداب . وكان لاتقانه اللغة الفرنسية اثر بعيد في اتصاله بالثقافة الفرنسية فاستقى من منابعها ، وبدأ يقرأ أمهات الكتب في الأدب الفرنسي القديم والحديث .

وعندما اشتعلت ثورة عام ١٩١٩ كان زكي مبارك وقتئذ طالباً في الجامعة المصرية فاشترك فيها وشهد آلام التشريد والاعتقال شهوراً طويلة ، وكان واحداً من خطبائها المبرزين .

عاد زكي مبارك الى الجامعة مرة اخرى بعد خروجه من المعتقل في اكتوبر عام ١٩٢٠ وانتظم في دراسته ، وقد اسقطه الدكتور طه حسين في الليسانس مرتين ، واخيراً نال شهادة الليسانس في العلوم الأدبية والفلسفية عام ١٩٢١ . وفي عام ١٩٢٢ بدأ في اعداد رسالته في الدكتوراة عن « الأخلاق عند الغزالي » ونوقشت الرسالة مناقشة علنية في مدرج كلية الاداب بالجامعة المصرية في ١٥ مايو عام ١٩٢٤ . وكان جو الامتحان عنيفاً ، وكان الدكتور طه حسين من المشتركين في لجنة المناقشة ، وفي نهاية المناقشة ظفر بدرجة الدكتوراة بتقدير جيد جداً ، فكان أول من ظفر بدرجة الدكتوراة في الفلسفة من الجامعة المصرية القديمة .

وقد اتصل زكي مبارك بالصحافة منذ سن مبكرة ، وكان في كل أطوار حياته كاتباً جريئاً صريحاً يكره المداورة ويبغض النفاق ، وكان يكتب مقالاته وينشر أشعاره في مختلف الصحف والمجلات.

وبعد حصوله على « ليسانس » الآداب ثم الدكتوراة ، عمل معيداً بكلية الآداب عام ١٩٢٥ ثم صمم على ان يكمل دراسته ، وان يذهب الى باريس . وكان قد تزوج قبل عام ١٩١٠ حين خاف أهله عليه أوهام العاطفة فأقام حياته وأنجب ابناءه الخمسة . وترك زكي مبارك وراءه زوجته وابناءه في مصر ، واتجه الى باريس عام ١٩٢٧ ليواصل دراسته العليا هناك على نفقته الخاصة في عصامية فريدة نادرة . وكان يعيش في باريس عيش الكفاف ، فينفق كل ما معه على شراء الكتب اكثر مما ينفق على طعامه وشرابه ، وبجانب ذلك كان مسئولاً عن اسرته في القاهرة ، وبرغم انه أحب باريس فانه كان يشعر « بالاغتراب الروحي » فيها .

وكان زكي مبارك يسكن في غرفة متواضعة بباريس ، وفي تلك الغرفة ألف رسالته « النثر الفني في القرن الرابع الهجري » وطلب قرضاً من الجامعة المصرية ليطبع رسالته تلك التي سيقدمها الى جامعة السربون ، والتي انجزها في سبع سنوات ولكن لم يستجب له مجيب . ومضى يشق طريقه بعزيمة صلبة وكافح بمفرده وقاسى في غربته حتى طبع الرسالة ونوقشت رسالة الدكتوراة ومنحته جامعة السربون درجة الدكتوراة بتقدير « مشرف جداً » ثم عاد الى مصر يحمل معه ارفع الدرجات العلمية .

عمل زكي مبارك بالجامعة المصرية ، وكان يكتب في صحيفة البلاغ مقالات بعنوان «الحديث ذو شجون» . وفي تلك الأيام دارت معركة عنيفة بينه وبين الدكتور طه حسين ، فقد سئل طه حسين عن رأيه في كتاب « النثر الفني » فكتب في مجلة الرسالة يقول عنه « انه كتاب من الكتب أخرجه كاتب من الكتاب ! » وكان هذا تجاهلاً صريحاً لهذا الكتاب النفيس . وكان من أسباب غضب طه حسين ان بالكتاب هجوماً عنيفاً ودحضاً لآرائه في نشأة النثر الفني وارجاعه الفضل للفكر اليوناني . وامتشق زكي مبارك قلمه ورد على طه حسين ، ودارت معركة عنيفة بينهما . وعاد زكي مبارك الى منصبه في الجامعة المصرية عام ١٩٣٣ ابان الفترة التي كان فيها طه حسين خارج الجامعة . فلما عاد طه حسين الى الجامعة عام ١٩٣٤ رفض تجديد عقد زكي مبارك وقال : « انا لم استشر في تعيينه فلا استشار في تجديد عقده ! » وكانت مأساة محزنة . . أبعد زكي مبارك عن منصبه ووراءه مسئوليات جسام . وكتب زكي مبارك والألم يمزقه مقاله المعروف : «طه حسين بين البغي والعقوق» .

ومضى زكي مبارك يشق طريقه بعزيمة صلبة يسعى لرزقه بعد خروجه من الجامعة في مجال آخر ، فعمل بالصحافة والأدب . ثم عينته وزارة المعارف مفتشاً للمدارس الأجنبية في مايو ١٩٣٧ بعد حصوله على الدكتوراه الثالثة في ابريل من نفس العام عن « التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق » بمرتبة المشرف . وكان عميد كلية الآداب وقتها الدكتور طه حسين ، وقد قال زكي مبارك عن ذلك : « هل انسى انني انتزعت اجازة الدكتوراة من كلية الآداب وانا في خصومة عنيفة مع عميد كلية الآداب . » وبعد هذه الدكتوراة الثالثة اطلق زكي مبارك على نفسه الدكاترة زكي مبارك !

وفي فصل « المرأة في حياة زكي مبارك » يقول المؤلف :

كان الدكتور زكي مبارك عاشقاً ، واله القلب ، قوي العاطفة ، قضى حياته يتقلب على سعير الوجد ووهج العاطفة ، وقد طلب له ان يفصح عن سرائر روحه وأسرار قلبه فملأ الدنيا غراماً وتشبيباً » ، وعاش الى آخر نسمة من حياته يتشوق الى افنان الجمال ويغرد للحب .

ومن آثاره الوجدانية التي استلهمها من تجاربه المتعددة في عالم الحسن ودنيا الجمال كتبه : « مدامع العشاق » و « ليلى المريضة في العراق » و « العشاق الثلاثة » وديوان « الحان الخلود » .

وهو لا يريد الا الصدق في تصوير العواطف والأهواء ليكون في ذلك مادة تنفع في الدراسات الأدبية والنفسية ويشرح اتجاهه في كتابة الوجدانيات فيقول :

« ان حديثي عن الحب صار اتجاهاً ادبياً اشرح به ما يتعرض له الناس في ميادين النوازع والأهواء وانا اريد ان اخلق جواً من البشاشة ادفع به ظلمات الزمان . نحن لا نبتكر الكلام عن الحب ، فهو عاطفة عرفتها الأرواح منذ أقدم عهود الوجود . . وما قيمة الدنيا اذا خلت من الحب ؟ »

ان قوة العاطفة عنده هي التي املت هذه الأحاديث الوجدانية الصادقة ومنحتها الجمال والأصالة والعذوبة ، وقد عاش طوال حياته يغني اجمل اغاريد الحب واعذبها .

وقد اورد المؤلف صفحات عدة من وجدانيات زكي مبارك . . من كتبه ورسائله . وهي لون فريد في ادبنا العربي المعاصر ، وقد افصحت عن نفسية كاتبنا وطيبة قلبه بصدق وامانة وحرارة ، وعن الكثير من أفكاره وارائه في الأدب والمجتمع والحياة .

وفي الفصل الثالث « ملامح شخصيته » يقول المؤلف :

« من أبرز ملامح شخصية الدكتور زكي مبارك انه كان انساني النزعة صافي القلب خفيف الظل ولكنه رغم طيبة قلبه وصفاء نفسه ووداعته كان مناضلاً عنيفاً صلباً اذا دخل في سجال لا ينكص على عقبيه ابداً ولا يلين . وكان يكره الماديات ولا يأبه باقتنائها حتى بعد ان يسرت له أسباب الحياة ولكنه كان يقتني مكتبة ضخمة تحوي ما يزيد على عشرين الف كتاب » .

ثم يستطرد المؤلف قائلاً :

« . . . وهو مؤمن عميق الايمان صافي القلب والوجدان ، ومن الخطوط البارزة في شخصيته تمسكه بآرائه وصراحته وصدقه واعتداده بكرامته ، وكان يكره النفاق والمداراة ، ومن ملامح شخصيته الاعتراف بالخطأ ومواجهة اخطائه وعيوبه بصراحة وشجاعة ، والحزن العميق وقوة العاطفة »

وفي هذا يقول زكي مبارك :

« أنا رجل مؤمن بأن القلب ادق ميزاناً من العقل وكيف لا يكون كذلك وهو يأخذ هدايته من الفطرة على حين لا يهتدي العقل الا بالبراهين ، وهي في الأغلب تقوم على مقومات لا تخلو من تضليل . »

وهو حائر في تحديد حقيقة نفسه وفي هذا يقول :

« انا متهم بالعقل ومتهم بالجنون . . فمن وصفني بالعقل فهو متلطف ، ومن وصفني بالجنون فهو مسرف . . لأنني في حقيقة امري انسان يعيش بثورة العواطف فوق ما يعيش بقوة العقل ، وهي حالة تجعل امري وسطاً بين العقل والجنون ، والتوفيق الذي ظفرت به في حياتي العلمية مدين لحياتي الوجدانية ، فقوة الوجدان هي التي حملتني على ان استقتل في الدراسات الأدبية والفلسفية . »

وكان زكي مبارك وفياً لاسرته واصدقائه ووطنه ، وقد أحب كل بلد حل فيه .

ومن اظهر خصائص أدبه « قوة الذاتية » حيث كان يرى ان الذاتية الأدبية هي ان تكون انت انت فيما تكتب وفيما تقول بحيث يشعر من يقرأ لك او يستمع اليك انك تنقل عن قلبك وضميرك وان لك خصائص لا يزاحمك فيها سواك وانك لو نشرت مقالاً بدون امضاء لنم عليك الروح قبل ان ينم عليك الأسلوب .

وكان يعتز بذاتيته ايما اعتزاز . . يقول :

« أنا أؤمن بأنه لا يمكن لأحد ان يكون اكتب مني الا اذا استطاع ان يكون اصدق مني ، ومن المستحيل ان يكون في الدنيا احد اصدق من نفسي . »

وفي الفصل الرابع يسرد علينا المؤلف معارك زكي مبارك ومساجلاته الأدبية التي كان فيها شديد العنف صلب العود قوي العارضة ، وابرز ملامح معاركه الفكرية ومساجلاته انها اتسمت بالعنف والتحدي كما اتسمت بطابع السخرية اللاذعة والفكاهة العذبة والاعتداد بالنفس ثم الطابع العاطفي ، وكان لعنفه وصراحته آثار سيئة ، فصراحته وصدقه حمّلاه متاعب كثيرة وأثارا حوله الاراجيف والأباطيل فحورب في رزقه وعمله . ويصور كيف تحول من الأدب الوجداني الى النقد الأدبي فيقول :

« لقد ابتدأت حياتي الأدبية بأناشيد الحب والجمال ، ولو تركني الناس وشأني لعشت بلبلاً وديعاً لا يسمعون منه غير أنغام الحنين . . »

وكان شديد الايمان بالتراث الاسلامي والثقافة العربية ، وخاض معارك متعددة مع دعاة التغريب ومع اعداء الثقافة العربية والاسلامية ودعاة الشعوبية . وكان يرى ان الخصومات تذكي عزيمته وتمد دمه بفيض من قسوة الحديد .

وسجل لنا المؤلف معارك زكي مبارك مع طه حسين وعباس العقاد وابراهيم المازني واحمد زكي واحمد امين ومحمد لطفي جمعة وسلامة موسى .

وفي الفصل الخامس والأخير وعنوانه « مأساة عاشق الجمال » يقول المؤلف :

« لقد اراد زكي مبارك ان يغاير التقاليد . . لقد كره النفاق والخداع . . لقد اراد ان يكون الأديب الصريح الصادق في أدبنا الحديث . . وبدأ التجربة ، ومن هنا كانت مأساته . . تعرض لمتاعب ومضايقات كثيرة في حياته . . »

كان صريحاً في التعبير عن عواطفه ومشاعره الوجدانية ، وكان صريحاً في التعبير عن آرائه في الآخرين بغض النظر عن مناصبهم . واتهم بأنه من أنصار الأدب المكشوف ، فعندما أصدر كتابه « مدامع العشاق » عام ١٩٢٤ قال عنه الدكتور طه حسين في جريدة «السياسة» : « انه كتاب يحرض على الشهوات » ووصف زكي مبارك بأنه « حاد الشباب عنيفه » ، وكان الأدب عند زكي مبارك كالفن يجب أن يسمو عن الأوضاع والتقاليد حتى لا يفتر ، ويصور اتجاهه الأدبي الصريح فيقول :

« ما اردت الا الصدق في تصوير العواطف والأهواء ليكون في ذلك مادة تنفع في دراسة علم النفس ، ومن المستحيل ان اريد الدعوة الى الفجور والمجون لأني رجل من رجال التربية ، ولأني رجل متأهل ولي أبناء . قد يكون من القراء من يخفى عليه اني ادعو الى مبادىء خلقية سامية اغشيها بالفتون كما يصنع الطبيب في تغشية « البرشامة » المرة بغشاء من الحلواء . »

ولقد اتخذ خصومه مما كان يكتب في أدب الوجدان ومن اعترافاته ووجدانياته سلاحاً في يدهم شهروه في وجهه لمهاجمته والنيل منه خاصة في أعوامه الأخيرة .

وظل زكي مبارك يجاهد في حقل الصحافة الأدبية سعياً لرزقه ورزق اولاده ثم لم يلبث ان عمل بوزارة المعارف ولكنه لم يترك صراحته وجرأته فلقي صدمات عنيفة ممن لم تعجبهم صراحته وصدقه . فأحس بالظلم والألم وشعر بالمرارة . وهتف يقول : « كيف فاتني ان انافق في عصر لم يعش فيه غير النفاق ؟ »

وتركت تلك الصدمات العنيفة آثاراً سيئة في نفسيته ، وأحس بالمزيد من المرارة وهو يرى ان كفاحه في سبيل الأدب ضائع وكفاحه في ميدان التعليم ضائع فقال :

« ليذكر ان الدكتور زكي مبارك لو انفق نشاطه في الاتجار بالتراب لأصبح من كبار الأغنياء . ولكنه بلا اسف — سيموت فقيراً لأنه أنفق نشاطه في خدمة الأدب العربي » .

وكان للمرأة ايضاً أثر كبير في مأساته . لقد أحس زكي مبارك بالمرارة والضياع ، وهاله ان يجد نفسه في المؤخرة ، وقد كافح كفاحاً علمياً دؤوباً ، ونال ارفع الشهادات من جامعة القاهرة وجامعة السربون ، وكانت صراحته وصدقه سبب بلائه ، فقد جرت عليه الكثير من المتاعب . . ويقول احمد حسن الزيات :

« لو استطاع زكي مبارك ان يتملق الظروف ويصانع السلطان ويحذق شيئاً من « فن الحياة » لاتقى كثيراً مما جرته عليه بداوة الطبع وجفاوة الصراحة . »

وفي اعوامه الأخيرة هام بالعزلة ، وكلف بالوحدة ، وانطوى على نفسه بعيداً عن المجتمع في وحدة ممضة قاسية . . ثم راح يذوب تدريجياً وأصبح حطاماً يدب على الأرض ، وأخيراً خبت هذه الشعلة المتأججة بالقوة والجمال والوفاء والحب في ٢٣ يناير عام ١٩٥٢ عن ستين عاماً ، ودفن في بلدته « سنتريس » .

وكنت أرجو ان يضيف المؤلف فصلاً آخر الى فصول الكتاب يحدثنا فيه عن كتب الدكتور زكي مبارك التي اثرت المكتبة العربية والوجدان العربي . . يعرضها ويحللها لنا . . نعم لقد تحدث المؤلف عن بعض هذه الكتب في فصول الكتاب ، وأورد بعض مقتطفات منها لكنه حديث سريع عابر لا يغني عن عرضها عرضاً كاملاً ●

سعد حامد — القاهرة

القلق النفسي

بقلم: الدكتور ابراهيم ناصر

القلق حالة نفسية من الضيق والانقباض والفزع ، وضده الاطمئنان .
لاطمئنان والايمان صنوان . غير أن المشاكل ظروف التي تسبب القلق النفسي تختلف من خص الى آخر . فمن الناس من هو قوي شكيمة والارادة لا يعتوره القلق حتى في أحلك ظروف وأشد المخاطر . ومنهم من هو لين حجول ينتابه القلق في أبسط المواقف . ومن لاحظ أن نسبة القلق النفسي بين النساء أكثر نها بين الرجال وذلك لقلة تحملهن لمشاكل لحياة ومتاعبها ، ولخوفهن وتحسبهن للمستقبل لجهول .

ومن المعلوم كذلك أن الحالة الصحية العامة لها أثر كبير على قدرة الانسان على تحمل مشاكل الحياة وأعبائها اليومية . فمن كان صحيح الجسم قوي البنية ، كان أقدر على تحمل المتاعب النفسية .

ان القلق النفسي حالة طبيعية لا يكاد يخلو منها بشر ، ولكنها تصبح حالة مرضية اذا ما استفحلت وباتت تحد من فعالية الانسان . ومسببات مرض القلق النفسي كثيرة ومتعددة في عصرنا الحالي حتى اعتبر هذا المرض أحد المظاهر المألوفة للمدنية الحاضرة بما فيها من التعقيد وما تضعه على عاتق المرء من أعباء ومسؤوليات . وانه لأمر طبيعي أن يقلق المرء عندما يكون بصدد اتخاذ قرار هام يؤثر على مستقبله ومستقبل عائلته . ولكن المشكلة تبرز وتظهر حين يستفحل هذا القلق مصحوباً بأعراض نفسية . وقد تبدو علائم القلق النفسي على المرء أحياناً دون أن يكون هنالك سبب وجيه يذكر ، وفي هذه الحال يكون القلق مظهراً لوجود خلل في الدماغ .

أعراض القلق النفسي

تنقسم هذه الأعراض الى ثلاثة أقسام وهي :

• الأعراض التي تتصل بمشاعر النفس



الداخلية مثل : الفزع ، والتوتر العصبي ، والهبوط النفسي .

◦ الأعراض التي تتصل بقدرة الانسان الذهنية . فالانسان القلق تقل قدرته على التمييز والاستيعاب الذهني ، ويجد صعوبة في الاختيار وخاصة حين يكون الاختيار دقيقاً . فالطالب المصاب بالقلق النفسي مثلاً قد لا يجيد في الامتحان حتى ولو درس مادته دراسة جيدة .

◦ الأعراض الجسدية التي تنتج عن تهيج في الغدد الصماء و « جهاز الأعصاب اللاارادي Autonomic Nervous System » وخاصة « الجهاز السمبثاوي — Sympathetic » . وتظهر هذه الأعراض على شكل « نوبات حادة — Acute Anxiety Attacks » تتميز بالفزع الشديد لدى المريض المصاب يصحبه ارتفاع في ضغط الدم ، وزيادة في خفقان القلب ، وضيق في التنفس مع سرعة حادة في حركات الصدر التنفسية . بالاضافة الى تصبب العرق البارد من الجسم « وتشنج في عضلات الأيدي والأرجل — Carpopedal Spasm » ، وهنا يصبح المريض في حالة يرثى لها من الهلع مما ينبغي على اثرها استدعاء الطبيب . ومثل هذه النوبات تحدث في الغالب ، كرد فعل لصدمة عاطفية قوية لدى المصاب ، ولا سيما لدى الفتيات اللواتي تتراوح أعمارهن بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين ، وكذلك لدى الرجال الذين يقاتلون في الخطوط الأمامية لجبهات القتال إبان الحروب ، حيث يتعرضون لصدمات قوية بسبب الأخطار المستمرة التي يواجهونها طوال فترة القتال .

وفي معظم الحالات ، تظهر أعراض القلق النفسي بشكل مزمن وذلك بسبب تراكم المشاكل الصغيرة التي تصل الى حد يثقل كاهل المريض ، فتظهر عليه علائم القلق حيث تتركز أعراضه حول القلب والجهاز التنفسي والجهاز الهضمي . وفي هذه الحال يشكو المريض من ازدياد في قوة نبضات القلب وضيق في الصدر وخاصة عند النوم . وقد يصحب ذلك أحياناً اختلاف في نظام دقات القلب مما يخيف المريض ويجعله يشك في وجود مرض عضوي في قلبه . وقد يقوى هذا الشك مع الزمن ليصبح من القناعة بحيث تصعب ازالته مهما حاول الطبيب أن يطمئن المريض ويبدد مخاوفه — Cardiac Neurosis . وهنا يستفحل القلق النفسي ويعكر صفو حياة المريض ويوصله الى درجة كبيرة من اليأس والقنوط . وقد يكون الجهاز التنفسي مركز اهتمام المريض المصاب بالقلق النفسي فيشكو من ضيق في التنفس . وفي هذه الحال يكثر المريض من التنهد وينتابه في الوقت نفسه شعور غريب بأنه لا يقوى على استنشاق كمية كافية من الهواء، وهنا قد يسيطر عليه الخوف ازاء وجود مرض عضوي في الصدر كالربو لوجود تشابه ظاهري بين الحالتين . أما الجهاز الهضمي فيحتل مركز الصدارة كمظهر من مظاهر القلق النفسي حيث يشكو المريض من اضطراب في عمل هذا الجهاز .

أما أهم هذه الأعراض المتصلة بالجهاز الهضمي وأكثرها شيوعاً لدى مرضى القلق النفسي فهي ما يتعلق « باضطراب حركة الأمعاء — Irritable Bowel » حيث يشكو هؤلاء المرضى من آلام في البطن ، ومغص معوي ، وامساك شديد يتناوب مع اسهال على فترات ، ويصحبه عسر هضمي وانتفاخ في الأمعاء . وقد يظهر القلق النفسي لدى المرضى على شكل هبوط أو فتور نفسي — Depression يفقد فيه المريض كل اهتمام بما حوله وينطوي



على نفسه ويصحب ذلك فقدان للشهية ونقصان في الوزن بالاضافة الى ضعف عام في قواه الجسدية ولا سيما الجنسية ، كما يشكو أيضاً من أرق مزمن يضطرب فيه نومه . ويعتبر الهبوط أو الفتور النفسي من أهم مظاهر القلق وأشدها خطورة مما ينبغي معالجته والعناية به من قبل أخصائي في الأمراض النفسية .

هنالك أيضاً أعراض شائعة تظهر على مرضى القلق النفسي منها ، الخوف الذي يصل أحياناً الى درجة « الفزع — Phobias » حيث يظل المصابون به في خوف دائم من الاصابة بمرض عضوي كمرض السرطان — Cancer Phobia أو مرض القلب .

التشخيص

لا توجد هناك أية صعوبة في تشخيص نوبات القلق النفسي الحادة . فرؤية المريض في تلك الحالة لا تدع مجالاً للشك بالنسبة للتشخيص ، ولكن الصعوبة أحياناً تكمن في محاولة سبر أغوار نفس المريض لمعرفة مسببات هذا القلق والظروف الحياتية والبيئية التي أدت الى حدوثه . وفي بعض الحالات لا بد من التمييز بين نوبات القلق النفسي هذه وبين «نوبات هبوط القلب الحاد — Pulmonary Edema » أو نوبات الربو حيث يوجد تشابه ظاهري بين الحالتين .

أما تشخيص القلق النفسي المزمن وما يصحبه من أعراض تتصل بالقلب والجهاز التنفسي والجهاز الهضمي ، فالصعوبة فيه لا تكمن فقط في معرفة مسببات هذا القلق وانما أيضاً في محاولة التمييز بين هذا المرض والأمراض العضوية التي تصيب هذه الأجهزة . وهنا لا بد من إجراء كشف دقيق على المريض واجراء الفحوصات المخبرية الضرورية للتأكد من خلوه من الأمراض العضوية حتى يصبح بالامكان تطمين المريض وتبديد مخاوفه . ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد هو أن مرضى القلق النفسي معرضون كغيرهم من الناس لسائر الأمراض العضوية ، لذلك فانه لا يجوز أن تعزى كل شكوى لدى هؤلاء الى القلق النفسي إلا بعد التأكد من عدم اصابتهم بمرض عضوي ، كما أنه لا يجوز الاسراف في اجراء الفحوصات المخبرية لأن ذلك يزيد من تخوف المريض من وجود مرض عضوي لديه . ويستحسن أن تتم مثل هذه الفحوص على شكل دوري مرة كل سنة أو سنتين . ومن الأمراض التي تتشابه أعراضها بأعراض القلق النفسي « زيادة افراز الغدة الدرقية — Hyperthyroidism » ، ولكن الفحوص المخبرية الدقيقة لهذه الغدة تستطيع أن تحل هذا الاشكال في التشخيص .

العلاج

تختلف طريقة علاج القلق النفسي باختلاف مدى حدته . وكل ما يحتاج اليه في معالجة معظم حالات القلق النفسي هو أن يصغي الطبيب للمريض ويبحث معه المشاكل التي أدت الى هذه الحالة ، وبالتالي مساعدته على حلها أو التغلب عليها . فمجرد الاستماع الى المريض واعطائه الوقت الكافي لبحث مشاكله يخفف عنه ، ولا شك ، حدة هذه المشاكل ، ويروح عن نفسه ويساعده على التغلب على الصعاب التي تواجهه .

وقد يتطلب علاج القلق النفسي قيام المريض بقضاء اجازة قصيرة يرفه بها عن نفسه ، ويغسل عنها ما تراكم من متاعب الحياة وهموم العمل ، أو القيام بمزاولة نوع من أنواع الرياضة المحببة اليه يهدىء بها أعصابه المرهقة . وفي بعض حالات القلق النفسي ينصح المريض بتعاطي « المهدئات — Tranquilizers » مثل الـ « فاليوم — Valium » والـ « ليبريوم — Librium » وغيرهما . ولقد شاع في الآونة الأخيرة استعمال هذه الأدوية خاصة في الدول الصناعية المتقدمة حتى قيل أنه يمكن قياس تقدم الدولة صناعياً بكمية المهدئات التي تستهلكها . وقد جاء في بعض الاحصاءات أن عدداً لا بأس به من حوادث السيارات التي وقعت في بعض البلدان الأجنبية كان مرده الى الاسراف في تعاطي المهدئات . فالمهدئات تخدر السائق وتضعف حساسيته ●

د. ابراهيم ناصر — جامعة البترول والمعادن
الظهران

الزهرة العاشقة

للشاعر: عبد الحميد ربيع

نداءُ الخميلةِ والجدولِ ... دعانا الى القرْبِ في معزلِ

وبين الزهُورِ ونجْوى الطيُور ... بدأنا الحديثَ منَ الأول

وكانت أحاديثُنا في الهَوى ... تحرّك للحُبّ قلْبَ الخَلي

شرحْنا الصبابَة في مهْدِها ... وما ذقْتُ أو ذاق من عُذّلي

وكان النسيمُ بأنفاسِنا ... يساقي حبيبْين من منهل

* * *

وفي هذه الجلسَةِ الحالمة ... تبدّتْ لنا زهرةٌ ساهِمهْ

تقولُ لنا بلِسان العطُور ... أنا من حديثِكما هائمهْ

يراني المحبّون رمز المُنى ... اذا ما تبدّتْ لهم باسِمهْ

وأضحَكُ والوجْدُ في بسمتي ... وأحْسَبُ في جنّتي ناعمهْ

كذلك حالي يمرّ الهَوى ... ويُبْقي ليَ اللوْعةَ الدائمهْ

* * *

فقلْنا لها يا مثال المُنى ... اذا ما تبسّمْن في حبّنا

ستْبقين رمزَ الوفاءِ الجميل ... اذا ما ترنّم في عشّنا

نُحَيّي بغُصْنِك عهْد الصّبا ... وصفْوَ المحبّةِ في قُرْبِنا

سنسْقِي شبابَكِ شهْدَ الهَوى ... لِتبْقَيْ شباباً بأرواحِنا

ومرّ النسيمُ على غُصْنِها ... فمالت اليه وهشّتْ لنا

* * *

وجاء الأصيلُ الى البلْبُل ... يطوّقُه بنضار الحُلِي

ويسألُ شدْوَ بنَات الهديلِ ... عن الحبّ يضْحَك في المنْزل

فتبْدو الخميلةُ في حسْنِها ... تُجيبُ الأصيلَ بشوقٍ جَلي

وتهمِسُ في أذنِه بالوداع ... وفي عينِها دمعةُ الجَدْوَل

فعُدْنا وأشواقُنا بالمُنى ... تُعيد الحديثَ منَ الأول



بدائل الزيت

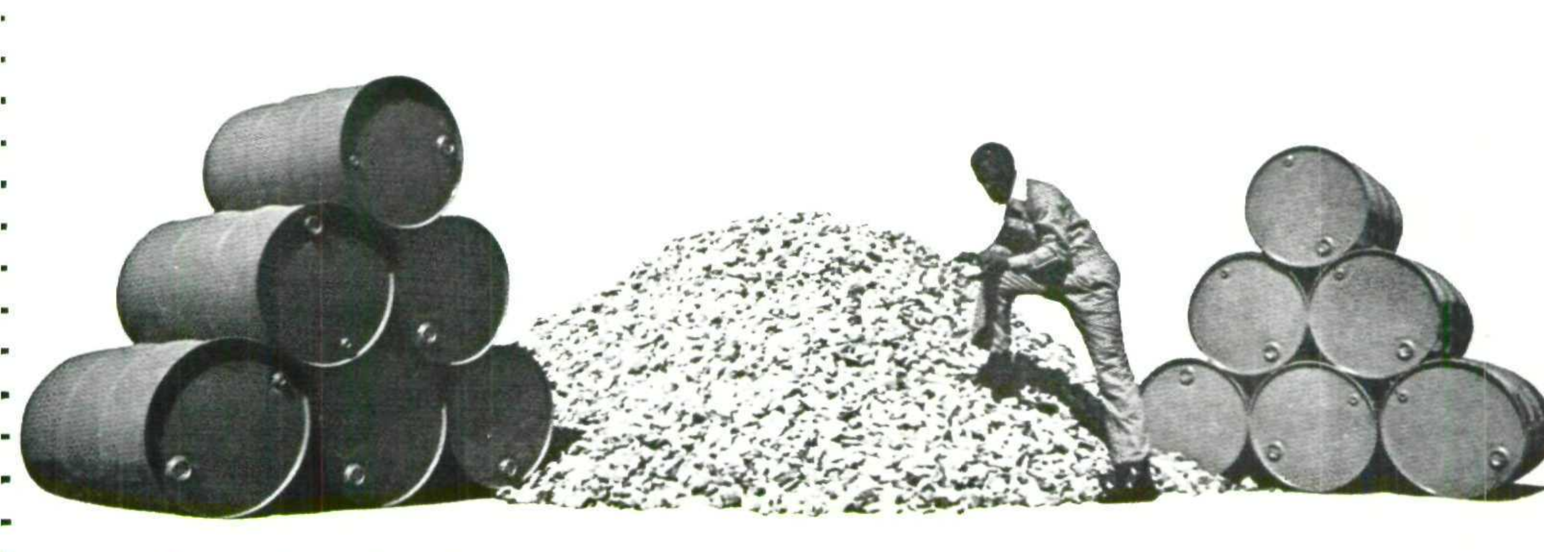
هل يمكن توفيرها في المستقبل القريب ؟!!

يبدو من الأخبار العلمية ، الواردة في هذا الصدد ، أن ايجاد بديل للزيت يقوم مقامه في سائر استعمالاته أمر صعب في المستقبل القريب ، مع ما بلغه البحث والاستقصاء العلمي من تقدم في هذا المجال .

فالزيت ، هذه المادة القيمة ، له استعمالات شتى علاوة على استعماله الرئيسي ألا وهو توليد الطاقة . وهذا الاستعمال هو أكثر ما يسعى اليه العلماء حالياً ، أي ايجاد بديل يولد الطاقة بكفاءة الزيت ويكون متوفراً ، واقتصادياً ، ويمكن انتاجه وشحنه وتسويقه بطريقة سهلة ميسورة ، ولا يضر البيئة من انسان أو حيوان أو نبات . وهذه الأمور – في الواقع – هي في صميم مشكلة البحث عن بديل للزيت يقوم مقامه .

ويقول العلماء إن هناك بدائل متعددة ، ولكن يجدر بنا قبل الخوض في الحديث عنها أن نقسمها الى مجموعتين : أولاهما المجموعة التي يمكن انتاج الزيت الخام منها صناعياً مثل « صخور السجيل – Shale Oil » و « الرمل الاسفلتي – Tar Sand » ، « والفحم – Coal » . فهذه جميعها يمكن تحويلها الى وقود سائل كالبنزين والديزل ووقود النفاثات . أما المجموعة الثانية فهي المصادر التي يمكن بواسطتها انتاج الطاقة الكهربائية مثل : « اليورانيوم Uranium » ، و « مساقط المياه – Water Falls » و « الحرارة الجوفية – Geothermal Heat » و « الريح – Wind » و « تيارات البحار – Ocean Currents » و « الفضلات الصلبة – Solid Wastes » وما شابه ذلك .

والمعروف أن أكثر استعمالات الفحم في الوقت الحاضر هو في مجال توليد الكهرباء ، غير أنه أمكن انتاج الوقود السائل منه في المختبرات وبعض المعامل الرائدة . كما أمكن انتاج كميات من الزيت – قليلة نسبياً – من الرمل الاسفلتي وصخور السجيل . وهناك تجارب علمية تجري حالياً لتوليد الكهرباء بواسطة أشعة الشمس . وقد تمكن العلماء في فرنسا من انتاج الكهرباء في محطة تعمل بقوة أمواج البحر . غير أن جميع هذه المحاولات غير مشجعة من الناحيتين الاقتصادية والانتاجية حالياً ، علاوة على المشكلات البيئية وغيرها . كما أن الناس العاديين لا يزالون بعيدين عن التفكير بجدية في مشاكل الطاقة وايجاد البدائل لأنهم يحصلون على بغيتهم من الوقود لسياراتهم واحتياجاتهم بسهولة ويسر . هذا بالاضافة الى أن تكاليف انتاج كمية من الوقود السائل أو الغازي ، المستخرج من الفحم أو الرمل الاسفلتي أو صخور السجيل ، مساوية في قدرتها على انتاج الطاقة لبرميل واحد من الزيت الخام . وهذا أيضاً على اعتبار أن المعامل المنتجة لهذا الوقود الاصطناعي ستعمل بكفاءة تامة ودونما عطب . فاذا حدث ووقعت احدى المشكلات ، وهذه كثيرة ومتوقعة ، فان قيمة هذه التكاليف ستزداد طبعاً . واذا ما قارنا هذه التكاليف بأسعار الزيت الحالية فاننا نجد أن الفارق لا يزال كبيراً بحيث يتجاوز الضعف والضعفين وحتى الثلاثة أضعاف .



نحتاج الى عشرين طنا من صخور السجيل لانتاج ١٢ برميلا من الزيت الخام (حوالي ١,٥ طن) والعملية بطبيعة الحال ليست سهلة ولا رخيصة .

وهناك أيضاً أمر آخر مهم ألا وهو توفير الأموال الضخمة لاستخدامها في انتاج الزيت الاصطناعي من تلك المصادر الآنفة الذكر. ويقول الخبراء بأنه يلزم توظيف بليوني دولار لانتاج مئة ألف برميل من زيت صخور السجيل يومياً. وهذه الكمية من الزيت نسبة لا تذكر اذا ما قورنت بالاستهلاك العالمي أو حتى باستهلاك دولة صناعية كبرى كالولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، التي يصل معدل استهلاكها من الزيت الخام في الوقت الحاضر الى حوالي ١٧ مليون برميل يومياً.

لقد أمكن انتاج الزيت من الرمل الاسفلتي، في كندا، وهو يباع لمعامل التكرير هناك بسعر الزيت الخام العادي حالياً. على أمل تطوير عمليات الانتاج في المستقبل بحيث تقل التكاليف لتصبح العملية مربحة أو على الأقل تغطي تكاليفها. ولقد أصيبت تلك الشركة بخسائر تربو على سبعين مليون دولار، مع العلم أنها تستغل في ذلك المشروع حوالي ٤٠٠ مليون من الدولارات. وهذه النتيجة، بطبيعة الحال، لا تشجع أحداً على المغامرة بمشاريع كهذه.

ان معظم الأبحاث العلمية الجارية حالياً لانتاج وقود صناعي تهدف الى تخفيض تكاليف الانتاج من تلك المصادر البديلة بحيث تصبح الأسعار مقبولة للمنتجين والعاملين في التكرير والمستهلكين، ولتجاري — لا لتنافس — أسعار الزيت الخام المعروف.

وقد يسأل سائل عن امكانية توليد الكهرباء من الشمس، ويقول بأن الأمر يختلف هنا عن غيره من المصادر البديلة الأخرى. فأشعة الشمس أولاً مجانية، وثانياً لا خشية من نضوبها، وثالثاً لا ينتج عن توليد الطاقة منها أي ضرر للبيئة بوجه عام.

وللاجابة عن هذا السؤال يقول الخبراء بأن الأمر قد يبدو سهلاً، ولكنه في الواقع غير ذلك. فأشعة الشمس منتشرة على مساحات واسعة وتحتاج الى معدات ضخمة لتجميعها وحصرها وبالتالي توليد الطاقة منها. اضف الى ذلك ان الطاقة المتولدة بواسطة خلايا كهربائية ضوئية تكلف، اذا ما قورنت قدرتها على انتاج الطاقة بقدرة الزيت، ما يعادل حوالي ٤٠٠٠



معمل يحتوي على مجموعة من الأطباق المملوءة بحبيبات اليورانيوم والتي يجري تحويلها الى وقود.

دولار للبرميل الواحد. ومع هذا فان انتاج الكهرباء بواسطة اشعة الشمس يعتبر، في حد ذاته، انجازاً علمياً قيماً.

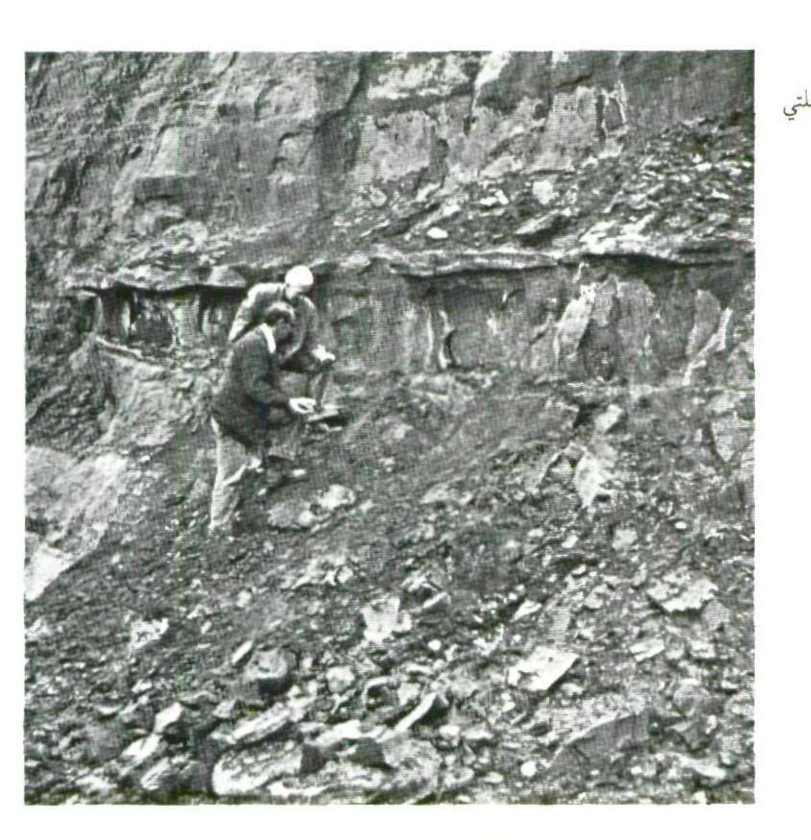
ولقد استغلت اشعة الشمس في أغراض أخرى وبطريقة اقتصادية كالتدفئة وتسخين المياه للمنازل ولأحواض السباحة، وفي تجفيف المحاصيل الزراعية. لكن توليد الكهرباء من أشعة الشمس بكميات كبيرة نسبياً وبتكاليف معقولة لا يزال بعيداً في الوقت الحاضر وغير ميسور المنال.

وبطبيعة الحال ليس استخدام الذرة في توليد الطاقة بأقرب وايسر من استخدام اشعة الشمس، بل ربما يكون ابعد لما يلاقي من معارضة خبراء البيئة له. ولقد تأخر تطوير الطاقة النووية من اجل الأغراض السلمية عدة سنوات نتيجة لتلك المعارضة. ولخبراء البيئة آراء ونظريات تدعم معارضتهم وهم، في الوقت الحالي، يفضلون التجارب الخاصة باستخدم الطاقة الشمسية او الهوائية. ولقد تحدثوا في السابق عن استخدام الحرارة الجوفية ولم يعارضوه بعض الوقت، ولكنهم لما وجدوا ان انتاج الطاقة بواسطتها قد يسبب تلوثاً محلياً محدوداً في الهواء، عادوا فاعترضوا على العملية.

وبطبيعة الحال لا ينكى احد على خبراء البيئة محافظتهم على الصحة العامة والبيئة، لكن خبراء الطاقة يضيقون بتشددهم خشية ان يقع المحذور منه وتصبح الحاجة الى الطاقة ماسة في المستقبل دون ان يكون هناك مصدر يمكن الاعتماد عليه او الركون اليه.

فقد تبدو بعض البلدان الصناعية المتقدمة أكثر حاجة الى تطوير مصادر بديلة للزيت خوفاً من نضوب ما لديها من احتياطي منه او من الغاز. لكن هذا الوضع قد ينطبق على الدول النامية أيضاً في المستقبل. ان معدل استهلاك

اثنان من الخبراء يتفحصان احد مواقع الرمل الاسفلتي في كندا

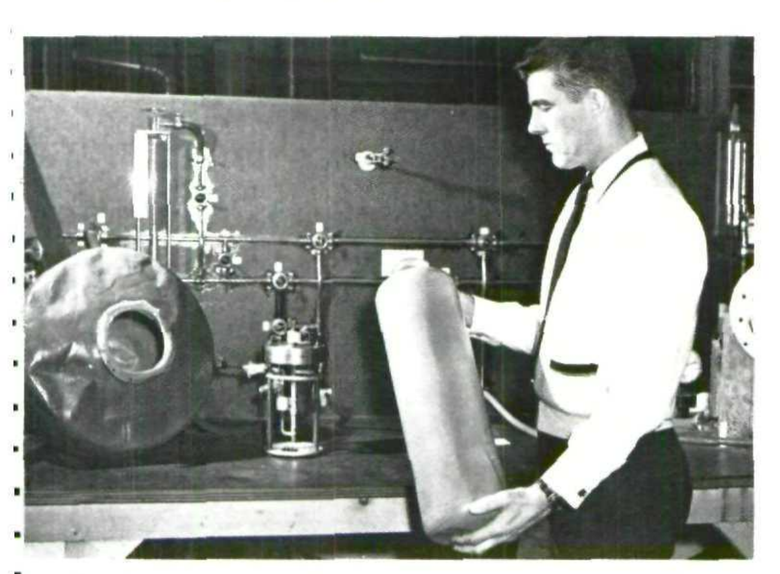




عينة من حبيبات اليورانيوم التي تستخدم في المفاعلات النووية .



احدى محطات توليد الطاقة من الحرارة الجوفية في نيوزيلندا .



يجري العلماء تجارب مختبرية على نوع من خلايا الوقود المزمع استعمالها في المركبات الفضائية والأقمار الصناعية .

الفرد من الطاقة في الدول الصناعية اكثر حالياً من الدول النامية ، لكن هذا الفارق سوف يقل تدريجياً بتقدم الدول النامية . وقد تصبح حاجتها أشد من حاجة الدول الصناعية . لأن هذه الأخيرة ربما تكون قد أوجدت من الوسائل الحديثة ما يعوضها بعض الشيء عن حاجتها من الزيت .

وما من شك ان انتاج الزيت الخام ، في البلدان المنتجة ، سوف يصل الى اعلى مستوى له في يوم ما في المستقبل القريب ، وانه سوف يأخذ في الانخفاض تدريجياً بعد ذلك . وتكاد تتفق الآراء على ان ذلك لن يكون بعيداً ، وربما يحدث في وقت ما بين عامي ١٩٩٠ و ٢٠١٠ م . وفي ذلك الحين ، أي عندما يأخذ الانتاج في الانخفاض سنجد ان الطلب على الزيت الخام قد أخذ يزداد حيث تكون الدول النامية قد بلغت درجة من التقدم الصناعي الذي تسعى اليه . وهنا يصبح التحول الى البدائل امراً لا مفر منه . وهذا ما يخشاه خبراء الطاقة حيث يكون الوقت ضيقاً ، فعام ١٩٩٠ في نظرهم قريب جداً ، وما عام ٢٠١٠ عنا ببعيد .

ولهذا تقوم بعض الشركات بابتكار وسائل جديدة

او استحداث اساليب متطورة لتحسين منتجات البدائل على امل ان تتفادى معارضة خبراء البيئة في المستقبل . وقد استطاعت احداها تحسين الزيت الخام المستخرج من الفحم في ثلاثة معامل تابعة لها ، ومعمل آخر ينتج الخام من صخور السجيل ، بحيث اصبحت تلك المنتجات شبيهة بمنتجات الزيت الخام العادي بل ويصعب التمييز بينها . وهناك معمل تكرير متطور في ريتشموند ، بالولايات المتحدة الامريكية ، يتوقع المسؤولون فيه ان ينجحوا في انتاج زيت جيد النوعية من الفحم وصخور السجيل . كما تمكنت الشركة ، صاحبة الشأن ، من تصميم نموذج لمعمل يمكن بواسطته تحويل الفحم الى غاز وهي بصدد اقامة ذلك المعمل .

ومع كل هذا التفاؤل والتطور العلمي لا يزال الخبراء يقولون بأن النتائج الايجابية لا تزال بعيدة المنال .

احد العلماء يفحص خلية شمسية خاصة باختزان اشعة الشمس لتحويلها الى طاقة

يجري العلماء تجارب متعددة لمعرفة مدى امكانية الاستفادة من أشعة الشمس في توليد الطاقة .

ويقول خبراء التكنولوجيا المسؤولون في شركات الزيت بامريكا بأن اهتماماتهم الآن تنحصر في ثلاثة انواع من البدائل ، تأتي صخور السجيل في مقدمتها ، وان هذه الشركات لديها المناطق الواسعة التي تحتوي على كميات ضخمة من صخور السجيل ، ويعتقدون بأن الزيت المستخرج من هذه الصخور سيكون اول زيت يعوض السوق عن الزيت التقليدي في المستقبل اذا أمكن التغلب على مشاكل تلوث البيئة .

ومن بعد صخور السجيل يأتي الفحم . فقد دلت الدراسات على ان تكاليف انتاج وقود سائل جيد من الفحم تفوق تكاليف انتاجه من صخور السجيل . لكن وجود كميات ضخمة من الفحم في الولايات المتحدة الأمريكية يضمن توفير ما تحتاجه تلك البلاد من الوقود لمدة قرن من الزمان .

ثم يلي ذلك الأشعة الشمسية التي ينظر اليها على المدى البعيد . فتكاليف توليد الطاقة من أشعة الشمس لا تزال تتأرجح من الناحية الاقتصادية . غير ان العلماء يأملون في التغلب على هذه المشكلة مستقبلاً اذ ان الطاقة الكامنة في هذا المجال ضخمة ولا خوف من نضوبها .

أمّا مجالات انتاج الغاز من الرمل الاسفلتي او الفضلات فلا تزال — كما يقول الخبراء — ضيقة ، وان الجهود المبذولة في ذلك محدودة . هذا ويكرس علماء التكنولوجيا جهودهم ، في المختبرات ، في مجالات صخور السجيل اولاً ثم الفحم ، ومن بعدهما تأتي الأشعة الشمسية .

وملخص آراء الخبراء في هذا المجال هو : ان انتاج وقود اصطناعي اساسه صخور السجيل او الفحم لن يكون بالأمر الهين او السهل نظراً للعديد من العقبات والمشاكل القائمة والمتوقعة . كما ان ذلك لن يكون قبل أواخر القرن الحالي ، وفي حدود اثنين في المئة فقط مما تحتاجه الولايات المتحدة كوقود للمحركات . هذا اذا امكن التغلب على معارضة خبراء البيئة الذين يبدو انهم يريدون وأد هذه المحاولات في مهدها •

ابراهيم أحمد الشنطي - هيئة التحرير

عن مجلة « بولتين »

الإطار الذهبي

بقلم: الاستاذ حسن حسن سليمان

لشد ما يشعر بالإعياء والتعب ، لقد امضى سحابة اليوم في عمل متواصل وتجوال مستمر ، متنقلاً بين مقر الشركة والبنك ، حتى انجز اوراق اجازته وقبض جميع مستحقاته مع انتصاف النهار ، وانفق بقية يومه يستعرض واجهات المحال التجارية يختار منها ما يليق بخاطب مثله هو في أواخر ايام عزوبته الجافة وعلى أبواب عهد جديد من ربيع الحياة ونعيمها .

فتح باب غرفته وهو يدندن بأغنية « بكره السفر » ، وعلى سريره القى بما معه وبنفسه بلا اكتراث فاهتز السرير وأنّ ، كأنه شاخ وهرم ولم يعد يقوى على مثل هذا العبث ولسان حاله يقول : ما كنت أحسب ان يكون هذا آخر عهدي بك يا « وليد » . وابتسم وليد ابتسامة فيها خليط من النشوة والشماته وقال : هذا هو آخر العهد بك ايها الصديق ، فقد آن لنا اليوم ان نفترق ولا لقاء ، كلانا كان حملاً ثقيلاً على صاحبه ، ظهرك تقوس بسببي كما تقوس ظهري بسببك ، فلست أدري هل كنت تحملني أنت ام انني انا الذي كنت احملك ! ؟

تحسس جيبه في زهو وارتياح ليتأكد من أن نقوده ما زالت في مكانها تشيع في أوصاله الدفء والشباب وتبعث في نفسه الثقة والاطمئنان . ثم أغمض عينيه في اغفاءة مستسلماً لبرودة المكيف وغارقاً في احلامه التي راحت تدغدغ قلبه وعواطفه . ولم يستيقظ الا على صوت جاره وهو يقرع الباب ليذكره بأن موعد الطائرة قد اقترب ، فهب مسرعاً وارتدى ملابسه على عجل ، ثم القى نظرة سريعة على ما في حقائبه ليطمئن الى ان كل شيء على ما يرام والى انه لم ينس شيئاً وبخاصة الاطار الذهبي البديع الذي اعده ليضع فيه صورته مع خطيبته في يوم الزفاف .

وفي المطار التف حوله اصدقاؤه يودعونه ، أحس وهو يودعهم بأنه يودع معهم عذاب الشوق ولسعات الفراق وألم الحرمان ، وانطلقت الطائرة تخترق الأجواء تمنى لو كان معه سوط سحري يلهب ظهرها به لتنطلق بأقصى سرعتها وتحمله الى ارض الأحبة في طرفة عين .

مضت الرحلة — على قصرها — طويلة ثقيلة مملة ، حتى احس بالطائرة تهبط في ارض المطار ، فاسترد انفاسه ، واستعادت أعصابه المشدودة هدوءها ، وان كان قلبه قد زاد خفقانه وتصبب عرقه . فقد دنت لحظة اللقاء التي طال ترقبه لها واشتد شوقه اليها ، فخطيبته لا بد ان تكون في طليعة المستقبلين .

انهى اجراءات الدخول في انفعال ، ثم انطلق الى خارج مبنى المطار كالسهم ليلقى الأحبة بعد طول غياب . اخذ يتصفح الوجوه عسى عينه تقع بينها على الوجه الذي لم يغب عنه ساعة في ليل او نهار ، نظرَ هنا وهناك فلم يعرف بين المستقبلين احداً ولم يعرفه بينهم احد ، زاغ بصره ، وشعر بنفسه غارقاً في حمام من العرق البارد ، هكذا إذن ؟ ! ليس هناك احد في استقباله ! لا ! هذا اهمال لن يسكت عليه ، ماذا دهاهم ؟ ! وكيف لم يستقبلوه ؟ ! ان لديهم علماً بقدومه في اليوم والساعه .

ألقى بنفسه على المقعد الخلفي في السيارة التي انطلقت به باتجاه القرية ، وهو يكاد يتميز من الغضب ، وفي صدره اضطرمت ثورة عارمة من السخط اعدها ليلقى بها الجميع .

قرع الباب بمنتهى العنف ، شد ما كانت دهشته عندما هرع لاستقباله اخوته الصغار فقط . اين والداه ؟ ! اين اخوته الكبار ؟ ! اين خطيبته ؟ ! اين اقاربه ؟ ! طار صوابه حتى خرج عن طوره ، أحس بالأرض تميد تحت قدميه ، وأعاده الى رشده صوت اخوته وهم يخبرونه من خلال دموعهم ان الأهل جميعهم في المستشفى . ومن غير ان يسمع منهم شيئاً آخر عاد بالسيارة ذاتها الى هناك وما فتىء يحث السائق على الانطلاق بأقصى سرعة .

وفي صالة الانتظار بالمستشفى لقي أهله جميعهم فاستقبلوه بوابل من الدموع وبعاصفة من البكاء ، حتى تحولت الصالة الى مأتم ووجد نفسه تائها فيه لا يعي مما حوله شيئاً . عقدت الدهشة لسانه فلم يقو على سؤالهم بما بهم ، وألجمهم الانفعال فلم يقووا على الافصاح له بشيء . وأنقذه من هذا المشهد الكئيب ممرض اخذه الى غرفة مجاورة وهدّأ من روعه في رقة ولين ، ثم أخبره ان اخاه « ابراهيم » موجود في المستشفى مصاباً بنوبة حادة في كليتيه ، وطمأنه الى انه عما قليل سيسمح له برؤيته والتحدث اليه .

وعاد الى البيت بعد أن اطمأن الى أخيه ، كان لقاؤهما حزيناً مؤثراً تبخر معه كل ما في رأسه من آمال وأحلام . ولم ينم تلك الليلة ، ظل في دوامة حتى الصباح . قلبه وفكره موزعان بين خطيبته وأخيه : خطيبته ومعها كل احلامه في الزواج والسعادة وقد لبث ينتظر هذا اليوم منذ سنوات وقد أعدّ له عدته ، لكن أخاه في حالة خطرة ويجب عليه ان يقف الى جانبه في محنته ، فمرضه يستلزم غسل دمه مرتين في الأسبوع ، وهذا يكلف نفقات باهظة لا يقدر عليها الا هو ، ليس أمامه حل وسط ، عليه أن يختار ، فإما أخاه وإما الزواج ، ومر بيده على جيبه ببطء : هذا المبلغ يستطيع ان يشتري به سعادته الى جانب خطيبته . ويستطيع ان ينقذ به حياة أخيه من موت محقق . وتراءت له خطيبته في ثوب الزفاف الأبيض جميلة رائعة تقترب منه رويداً في تيه ودلال ، في عينيها بريق الأمل وعلى شفتيها ابتسامة الرضا وفي يدها باقة من الورد ندية فواحة ، صورة بديعة تشرح الصدر وتبهج النفس وتقر بها العين ، ولم تلبث أن بدأت ترتسم فوقها ظلال من صورة أخيه شاحب الوجه ناحل الجسم مسجى بين الموت والحياة ، أخذت ظلال الصورة تتضح شيئاً فشيئاً فتطغى على صورة خطيبته التي أخذت تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى اختفت ولم يبق امامه سوى صورة أخيه تفتّت الكبد وتمزق القلب فأعادته الى وعيه ليقرر بحزم تأجيل زواجه . فان لم يتزوج هذا العام أمكنه أن يفعل ذلك في عام مقبل ، أما وضع أخيه فلا يحتمل التأجيل ولا الانتظار ، فلم الحيرة والتردد إذن ؟ ! الأمر .. في غاية الوضوح . وقرر ان ينقذ حياة أخيه بماله وسعادته واحلامه ، ففي شفائه سعادته الحقيقية وفرحته الكبرى .

واخذ ينتقل بابراهيم من مستشفى الى آخر آملاً في أن يوفق أحد الأطباء الى عمل أي شيء من شأنه انقاذ حياته ، وواظب على غسل دمه حسب التعليمات التي اقتضتها طبيعة المرض ، كل ذلك وحالته الصحية تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، ويذوي مع ذلك الأمل في شفائه أيضاً يوماً بعد يوم .

عام كامل مضى أصبح بعده في حالة من الافلاس التام بعد أن أنفق آخر ما تبقى لديه من توفير العمر كله ، وبعد أن فقد عمله الذي تغيب عنه كل هذه المدة ، فاستبد به اليأس من شفائه بعد أن وقف أساطين الطب عاجزين أمام مرضه . والذي يمزق قلبه أن يرى أخاه يحتضر أمامه ولا يستطيع أن يفعل من أجله شيئاً.

وهداه البحث والتنقيب الى طبيب بارع في أمراض الكلى فهرع اليه ، وقرر الطبيب أن هناك أملاً في شفاء ابراهيم اذا زرعت له كلية وأن بامكانه اجراء العملية اللازمة اذا توفرت الكلية المطلوبة .



بصيص من الأمل من خلال ظلام اليأس الدامس ، ليس هناك حل آخر . فاما زراعة الكلية واما موت لا ريب فيه . ولكن من أين يأتي بالكلية المطلوبة ؟! ليست بالشيء الذي يباع فيشتريه ، لا بد من أن يتبرع أحد أفراد العائلة بها . وأبدى الجميع استعدادهم للبذل والفداء . وأجريت لهم سلسلة من الفحوصات والاختبارات أسفرت جميعها عن أن مواصفات الكلية المطلوبة لا تنطبق الا عليه هو وحده من بين جميع أفراد العائلة .

مرة أخرى يجد نفسه أمام الاختبار الصعب ، لقد اختاره الله – جلّت حكمته – من بين الجميع ليمتحن صبره ويبلو ايمانه ووفاءه لروابط الأخوة ، فلتكن ارادة الله ، وليكن صابراً مؤمناً وفياً .

ومرة أخرى قضى ليلة ليلاء في دوامة من الأفكار حتى الصباح ، لقد ضحى من قبل عن رضا وطيب خاطر بكل ما يملك لعلمه ان المال غاد ورائح ، وضحى بعمله لايمانه بأن الله تعالى خلق الخلق وتكفل بأرزاقهم والأمر هذه المرة جد مختلف . ان التضحية غالية ولا تعوض ، وهي أيضاً لا بد منها ولا محيص عنها اذا أراد لأخيه أن يعيش بعد أن فشل في انقاذ حياته بماله . وتراءت له خطيبته في ثوب زفافها الأبيض بوجه شاحب وعينين دامعتين وفي يدها باقة من الورد قد ذبلت ، فانهمرت الدموع غزيرة من عينيه ، وأحس بقلبه يتمزق أسى وبنفسه تذوب حسرات ، وبدأت الصورة تبتعد عنه رويداً رويداً حتى اختفت تماماً تاركة وراءها الصمت والوحشة والظلام ، فسرت في اوصاله رعدة وشعر بخوف لم يشعر بمثله من قبل ، أفزعه الصمت والظلام فوثب هارباً من أفكاره وهواجسه . كان أهل البيت ما يزالون ايقاظاً لم يغمض لهم جفن ، وكلهم يشعرون بفداحة الخطب الداهم ، فأية مصيبة تنتظرهم اذا لم تنجح العملية ، سيكون المصاب كبيراً والخسارة مزدوجة ، ودوا لو يثنونه عن عزمه فيحولون بينه وبين التبرع بكليته ، فمصابهم بواحد منهم يحتملونه وهم قد وطنوا أنفسهم عليه ، أما المصاب بالأخوين الاثنين فلا يحتملونه ، انه أكبر من طاقتهم على الصبر ، ولكن أحداً منهم لم يجرؤ على مفاتحته بشيء ، فهم خائفون عليه ومشفقون على ابراهيم .

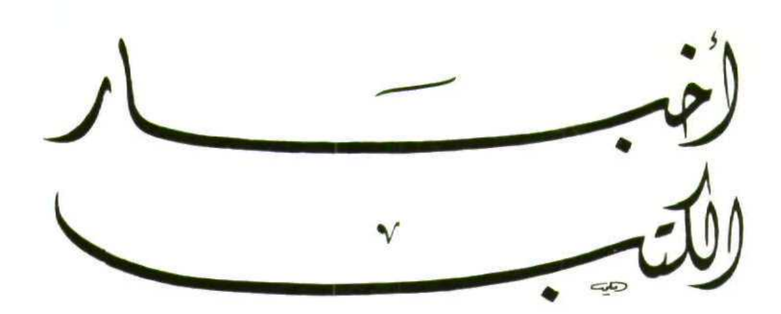
وأمام الجميع أعلن وليد في شجاعة نادرة بأنه عازم على انقاذ حياة أخيه بجزء من حياته هو ، ولذلك فقد قرر أن يتبرع له بواحدة من كليتيه ، أن يتنازل له عن نصف حياته . أجهش الجميع بالبكاء فاختلطت في عيونهم دموع الفرح والأمل والرجاء بدموع الخوف والاشفاق ، وفوضوا الى الله أمرهم وتوجهوا اليه ضارعين بقلوب كسيرة يسألونه أن يتولى الأخوين برحمته وأن يشملهما برعايته وحفظه .

وتكللت العملية بالنجاح ، وكانت فرحة الأهل بابراهيم لا توصف ، حتى أنهم نسوا في غمرتها أو كادوا ينسون « الوليد » الذي اكتفى من السعادة ببريق الحياة المتجدد تشع به عينا أخيه . وهدأت العاصفة التي اجتاحت العائلة لأكثر من عام ، وتماثل الاخوان للشفاء أو كادا.

وذات أمسية جلس وليد وحيداً يراجع حسابه : حقاً انه قسا على نفسه وعلى خطيبته التي ما زال يحبها بعمق واخلاص وما زال يتطلع الى اليوم الذي تزف فيه اليه وان كان لا يدري ما اذا كان رأيها فيه سيتغير بعد أن أصبح بكلية واحدة وان كان من قبل ذلك قد أصبح بلا عمل ولا نقود وربما بلا مستقبل . ومهما يكن رأيها فيه فسيظل يحبها ، فهي بالنسبة اليه أغلى الأشياء الثمينة التي ضحى بها غير نادم ، فلم يكن بوسعه أن يفعل غير ما فعل . كان نداء الأخوّة في أعماقه قوياً مدوياً فلم يستطع تجاهله ، ومن ذا الذي يستطيع أن يتجاهل نداء الدم وصرخة الروح ؟! وحسبه أن أدى واجبه وأراح ضميره ولم يخذل أخـاه .

وبينما كان يسترجع ذكريات السنة التي مضت ، خطر بباله الاطار الذهبي الذي أعده ليحتضن صورته مع خطيبته في يوم الزفاف ، فأخرجه ومسح ما علق به من الغبار وراح يتأمله بعينين دامعتين وقلب دام ، ماذا عساه أن يفعل به الآن ؟! وتراءت له فيه صورة خطيبته فغلبه البكاء وأكب على الاطار يغسله بدموعه . ثم لم يلبث أن كفكف دمعه وعمد الى صورة تذكارية له مع أخيه ابراهيم أخذت لهما يوم خرجا من المستشفى بعد نجاح العملية فوضعها في الاطار وعلقه في صدر غرفة الاستقبال •

حسن حسن سليمان – عرعر



« حركة الاحياء اللغوي في بلاد الشام » دراسة جامعية ضخمة صدرت للدكتورة نشأة ظبيان عن دار مطبعة سميراميس في دمشق . والكتاب يتابع الجهود التي بذلت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في احياء اللغة العربية ، وذلك بفضل المعاجم الجديدة التي وضعها علماء الشام وبفضل العناية التي صرفها الكتاب لدراسة علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وفقه وعروض وخط تمكيناً لأسباب النهضة اللغوية التي نجني اليوم ثمارها .

* أصدر الشاعر الأستاذ مصطفى عبد الرحمن كتاباً عنوانه « أناشيد لها تاريخ » نشرته دار الشعب ، وسجل في النصوص الكاملة للأناشيد التي دخلت في تاريخ الأمم في الشرق والغرب .

* من الدراسات الأدبية التي ظهرت مؤخراً كتاب « تطور الفكر الحديث في العراق » للدكتور يوسف عز الدين ، ونشر دار المناهل ، و« مصر في قصص كتابها المعاصرين » للأستاذ محمد جبريل وطبع القاهرة ، و« الحج في الأدب العربي» للأديب السعودي الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ، وقد صدر في سلسلة « المكتبة الصغيرة » ، و« اللقاءات الأدبية في الجاهلية والاسلام : طبيعتها وأثرها في نقد النص الشعري » للأستاذ عدنان عبد النبي البلداوي وطبع مطبعة الشعب ببغداد ، و« الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ » للأستاذ سليمان الشطي وطبع الكويت ، و« الأغنية الشعبية في قطر » وهو في أربعة أجزاء من تأليف محمد طالب الدويك ونشر وزارة الاعلام في قطر ، و« الشعر والزمن » للدكتور جلال الخياط ونشر وزارة الاعلام العراقية ، وطبعة جديدة من الجزء الأول من كتاب « أدباء الكويت في قرنين » للأستاذ خالد سعود الزيد ونشر دار ذات السلاسل بالكويت ، و« تجارب شعرية » للشاعر الدكتور كيلاني حسن سند ونشر القاهرة .

* « أموال النفط ومشكلات اعادة الدورة الاقتصادية» كتاب كبير صدر باللغة العربية ترجمة لبحث وضعه أحد كبار رجال الاقتصاد في انكلترا وتناول فيه المسائل الاقتصادية الدولية التي نجمت عن تقلبات أسعار النفط في بضع السنين الأخيرة . وقد نشر هذا الكتاب الأستاذ محسن قنديل العضو السابق في سوق الأوراق المالية المصرية .

* أصدر الأديب السوري الأستاذ عيسى فتوح كتاباً عن « أديب اسحق باعث النهضة القومية » تابع فيه سيرة هذا الكاتب الذي تتلمذ على جمال الدين الأفغاني ، وعرض آثاره في النثر والشعر ، وبين منزلته في عصره وفي الحركة الفكرية في يومنا الحاضر ، وقد نشر هذا الكتاب في دمشق .

* من كتب السير التي صدرت أخيراً « الدكتور أحمد زكي : حياته وآثاره » من تأليف الدكتور عدنان الخطيب ونشر مجمع اللغة العربية في دمشق ، و « علي أمين الصحفي والانسان » لطائفة من الكتاب ونشر دار أخبار اليوم .

* يصدر في البرازيل كتاب « رجل من لبنان » للأستاذ حنا دعبول وهو سيرة ذاتية لهذا الاقتصادي .

كما يصدر قريباً في العراق كتاب « جعفر الخليلي ومنزلته في الأدب الروائي العراقي » وهو رسالة دكتوراة قدمها الى جامعة ميشغن الأمريكية المستشرق الدكتور توماس هامل ونقلها الى العربية الدكتور صفاء خلوصي المحاضر بجامعات انكلترا وزميل له . وقدم الكتاب الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

* حققت الدكتوره بنت الشاطىء كتاب « الصاهل والشاحج » لأبي العلاء المعري ونشرته دار المعارف . وهو كتاب نادر من كتب المعري عثرت المحققة على مخطوطته في المغرب . ومما يذكر أن الدكتور أمجد الطرابلسي كان يعكف بدوره على تحقيق هذه المخطوطة.

* من كتب التراث التي صدرت أخيراً « ديوان طرفة بن العبد » من شرح الأعلم الشنتمري وتليه طائفة من الشعر المنسوب الى طرفة . وقد حقق الديوان الأديبة درية الخطيب والأستاذ لطفي الصقال ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق ، وكتاب « الفتح على أبي الفتح » لابن فورجه وقد حققه الأستاذ عبد الكريم الدجيلي وصدر في العراق ، وكتاب « شرح المقدمة المحسبة » وقد حقق الأستاذ خالد عبد الكريم الجزء الأول منه وصدر في الكويت .

* من الكتب الدينية التي صدرت أخيراً كتاب « التفسير الديني للتاريخ » وهو جزءان من تأليف الأستاذ محمود الشرقاوي ونشر دار الشعب و« قصص الأنبياء » وقد صدر منها الجزء الأول بقلم الأستاذ أحمد الشهاوي ونشر دار التأليف ، و« الاسلام منهاج وسلوك » للأستاذ أحمد عبد الجواد الرومي ونشر المكتبة العصرية في صيدا .

* صدر للدكتور مختار الوكيل كتاب بعنوان « جنيف والسياسة الدولية » ، عرف فيه بهذه العاصمة الأوربية المحايدة وجامعة الأمم فيها والنشاط الدولي الذي يدور في أنحائها . والكتاب من نشر دار الشعب .

* مجموعة من الكتب التي تتناول اخراج الأفلام صدرت أخيراً منها « المرجع في الميكروفيلم » وهو جزءان من تأليف الأستاذ صلاح القاضي ونشر مكتبة الأنجلو المصرية ، و « صناعة الأفلام الروائية » للأستاذ احمد زكي الحضري وتوزيع الأهرام ، و « اسس صناعة السينما » وهو جزءان من تأليف ليزلي هويلر وترجمة الأستاذ سعد عبد الرحمن قلج » ، ومراجعة الأستاذين نصري عبد النور وورديد محمدي ونشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، كما صدر للدكتورة لويز مليكة كتاب « الهندسة والديكور المسرحي » ونشرته الهيئة المصرية.

* ديوانان جديدان صدرا أخيراً هما « لزوم ما يلزم » للأستاذ نجيب سرور ونشر دار الشعب ، و « لم تمطري يا غيوم » للشاعرة دعد كيالي ونشر دار العلم للملايين .

* « ابن خلدون وعلوم المجتمع » عنوان دراسة للأستاذ الدكتور محمود عبد المولى صدرت عن الدار العربية للكتاب .

* نشرت مكتبة عالم الكتب دراسة عن « التعليم العام في البلاد العربية : دراسة مقارنة » من وضع الدكتور محمد منير موسى .

* « المدخل المعاصر لمفاهيم ووظائف العلاقات العامة » كتاب جديد نشرته مكتبة الأنجلو المصرية للدكتور حسين محمد علي .

* صدر للأستاذ ممتاز عارف كتاب « الأحباش بين مأرب وأكسوم » ونشرته المكتبة العصرية في صيدا

* في الأدب الروائي صدرت الكتب التالية : « عزف منفرد » وهي رواية للأستاذ علي شلش نشرتها الهيئة المصرية ، و « أحلام العمر كله » وهي مجموعة أقاصيص للاديبة احسان كمال نشرتها دار الهلال ، و « عابرو سبيل » وهي أقاصيص للأستاذ فاروق منيب طبعت في القاهرة ، ومسرحية « القضاء والقدر » للشاعر خليل مطران وتحقيق الدكتور ابراهيم حمادة ونشر الهيئة المصرية ، و « مسرحيات في الوهج والظل » للأستاذ علاء الدين وحيد ونشر دار الهلال ، و « مسرحية روبسبير » لرومان رولان وترجمة الأستاذ عبد المسيح ستيتي وتقديم الأستاذ فؤاد كامل ومراجعة الأستاذ حمادة ابراهيم ونشر وزارة الاعلام في الكويت ●

فتوحات العرب في سويسرا



بقلم. الدكتور زكي علي

حبا الله سويسرا بمناظر طبيعية خلابة تجذب اليها كل عام ألوف السياح من جميع أنحاء الأرض . وكم من مئات من المسافرين العرب يفدون الى سويسرا ليتمتعوا بزيارتها ولكن قلما تخطر ببالهم حقيقة تاريخية الا وهي أن أسلافهم فتحوا هذه البلاد الجميلة قبل أكثر من ألف عام ، وان هذه الفتوحات اسفرت عن اقامتهم بها زهاء ثلثي قرن .

تسمى الدولة السويسرية أيضاً الاتحاد السويسري او الاتحاد « الهلفيتي — Helvetia » نسبة الى اسلاف السويسريين القدماء من قبائل « الهلفت » التي تنتمي الى الجنس « السلتي » وهم سكان غرب اوربا في قديم الزمان . ثم نزحت الى الهضبة السويسرية واستقرت بها .

ففي ذلك الزمن البعيد كان الافرنج . سكان اوربا الغربية ، يطلقون اسم « سارازين — Sarrasins » بالفرنسية و « Saracens » بالانجليزية ، وأحياناً « مور — Maures » و « Moors » بالانجليزية على الفاتحين المسلمين سواء كانوا من العرب أو من البربر او غيرهم الذين اندفعوا في حماسة الفتوح من الأندلس وشمال افريقية يغزون جنوب فرنسا وايطاليا . وكما يقول « بوكوك — Pocok » في كتابه « نماذج من التاريخ العربي — Specimen Historide Arabum » المدون عام ١٦٤٩م : ان كلمة « سارازين — Sarrasins » مشتقة من الكلمة العربية « شرقيين » وعلى هذا الأساس كان شرح المؤلفين القدماء لأصل كلمة « مور — Maure » او « Moor » ، انها مشتقة من موريتانيا التي تعرف اليوم باسم جمهورية موريتانيا الاسلامية . ثم شاع استعمال هذا اللفظ في العصور الوسطى . ويقال انه حوالي منتصف القرن التاسع الميلادي ، وجه البابا نداء الى سكان مقاطعتي « شفيتز » و « الجريزون » من البلاد السويسرية يطلب فيه نجدتهم لحماية روما وممتلكات الكنيسة الكاثوليكية من زحف الشرقيين ، يعني العرب . ثم في أواخر القرن نفسه كان العرب قد وطدوا سلطانهم في جنوب فرنسا ثم قاموا بغزو شمال ايطاليا ، ومن هناك بدأ توغلهم في سويسرا (هلفتيا في ذلك الوقت) . فبعد أن عبروا جبال الألب الغربية الشامخة عام ٩٠٦م ، احتلت جيوشهم مدينة « أكوي — Acqui » في مقاطعة « بيمونت » بشمال ايطاليا. ويقول « فلودارد دي ريمس — Flodard de Reims » وهو مؤرخ افرنجي عاش في الفترة ما بين عام ٨٩٤م وعام ٩٦٦م ، وألف حوليات مهمة ، يقول بأن المسلمين احتلوا في عام ٩٢١م فج جبل « سان برنارد الكبير — Grand-Saint-Bernard » ، وكان لتثبيت اقدام العرب في هذا المكان الشاهق من جبال الألب الذي يفصل بين أيطاليا وسويسرا على ارتفاع ٢٤٧٣ مترا فوق سطح البحر ، علاقة مباشرة بحادثة خطيرة الا وهي المنافسة بين الكونت « هوج — Hugues » صاحب مقاطعة بروفانس — Provence ،

في جنوب فرنسا و « بيرانجر – Beranger » صاحب ناحية « إفري Ivrae » في شمال ايطاليا ، على تاج الملك في ايطاليا .

وتفصيل ذلك أن الكونت « هوج » حين بلغه أن منافسه « بيرانجر » يستعد للزحف على رأس جيش من ايطاليا لمقاتلته ، سارع الى عقد صلح مع العرب والتحالف معهم لمحاربة منافسه . بل ذهب الى أكثر من هذا ، فقد شجع العرب على أن يستأنفوا زحفهم من جديد على شمال ايطاليا ، حيث استولوا ، كما ذكرنا ، على قمة جبل « سان برنارد الكبير » وهو الموقع الاستراتيجي الرابض على الحدود السويسرية الايطالية ، وبلغ من قوة استحكامات العرب به أنهم نجحوا في منع أية محاولة من « بيرانجر » للتحرك بجيوشه من ايطاليا والوصول الى فرنسا عبر هذا الجبل . ومن العجيب أنه لم يأت بعد العرب من الفاتحين من اجتاز هذا الجبل سوى نابليون بونابرت عام ١٨٠٠ في طريقه الى ايطاليا حيث انتصر فيها في موقعة « مارنجو » .

وما أن عزز العرب استحكاماتهم العسكرية في فج الجبل المذكور الذي كان يعبره الحجاج من أهل أوربا ومنهم بعض ملوكها وأمرائها ورؤساء الاديرة في طريقهم الى روما أو الى القدس ، حتى فرضوا مكساً على المسافرين من الحجاج وغيرهم لقاء اجتيازهم ذلك الممر . وبهذه المناسبة نذكر أنه قد حفر قبل سنوات نفق في هذا الجبل لاستعمال السيارات بلغ طوله نحو ستة كيلومترات ، وفي طرفيه مركزان للجمارك أحدهما سويسرى والآخر ايطالي . ويفرضان مكساً على المجتازين للنفق بسياراتهم .

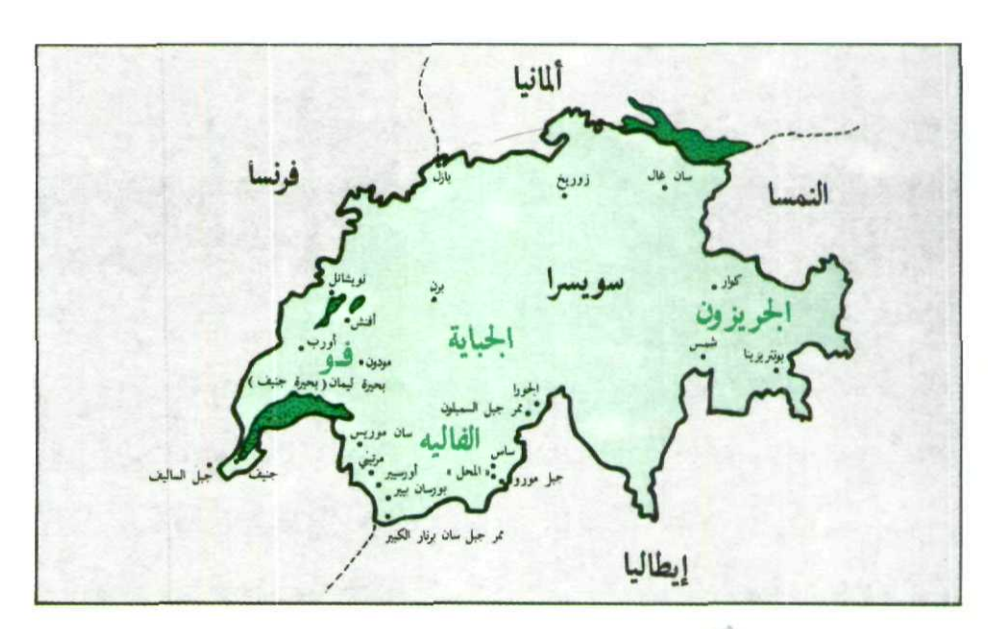
ومن جهة جبل « سان برنارد الكبير » واصل العرب زحفهم المنظم متقدمين في داخل البلاد السويسرية فاستولوا على « كانتون الفاليه – Valais » (١) . وفي سنة ٩٣٦م . اجتازوا جبال الألب ودخلوا مقاطعة « الجريزون – Grisons » السالفة الذكر ، وهي أكبر المقاطعات السويسرية مساحة واستولوا على عاصمتها « كوار – Coire » واسمها بالألمانية « خور – Chur » ، وهي أقدم مدينة سويسرية . وتوجد قرية في هذه المقاطعة على نقطة تقاطع وادي نهر الراين الأمامي على الطريق الشهير « فيامالا – Via Mala » اسمها « Schams » وهو اللفظ العربي المحض « شمس » . وهناك من المؤرخين من يظن أن العرب نزلوا أيضاً ببلدة « بونتريزينا – Pontresina » في المقاطعة نفسها وذلك في عام ٩٥١م . ويذكر أن هذه البلدة ورد ذكرها في وثيقة تاريخية عام ١١٣٩م تحت الاسم اللاتيني « ad Pontem Sarisinam » ومعناه « قنطرة الشرقيين » .

ثم الى يومنا هذا تمتلك كاتدرائية مدينة « كوار » المشار اليها أثراً يحيط به الغموض . وهو ثوب كهنوتي يرجع تاريخه الى القرن الخامس عشر أو السادس عشر الميلادي ، وعليه رموز تحليها زخرفة وألفاظ عربية من بينها كلمتا « الملك والسلطان » . ولا توجد لدينا أخبار تاريخية يوثق بها لاستسقاء المعلومات

(١) « كانتون » اصطلاح سويسري يطلق على المقاطعة .



حي في سويسرا وقد بدا في اقصى الصورة أحد الجبال تكسوه الأشجار الكثيفة



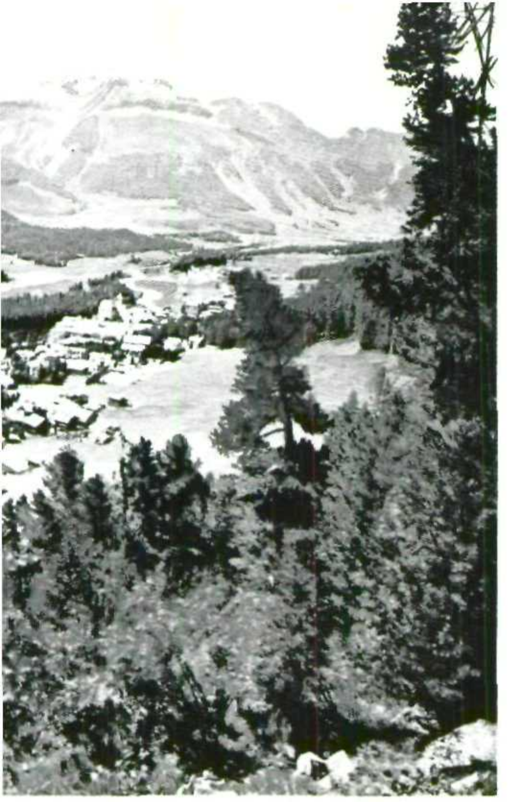

قرية اورسيير في مقاطعة الفاليه في سويسرا

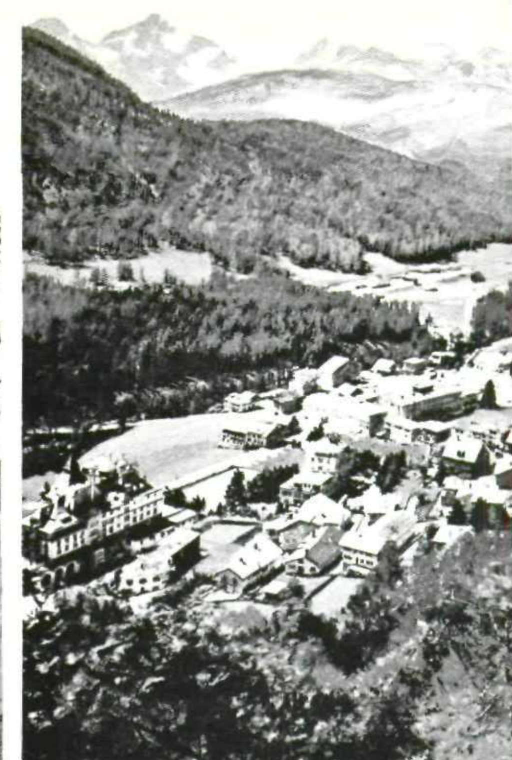
الصحيحة عن الظروف التي أتي فيها بهذا الرداء الى مدينة « كوار » إلا أن من المعروف أن العرب كانوا متفوقين في العصور الوسطى في صناعة الأقمشة الثمينة وخاصة المنسوجات الحريرية الأمر الذي يحملنا على الافتراض بأن هذا الثوب كان في الأصل ثوباً عربياً جيء به من المشرق ، ونظراً الى نفاسته فلربما حول فيما بعد الى لباس كهنوتي . وهذا الافتراض قد يفسر لنا وجود الزخرفة والألفاظ العربية جنباً الى جنب مع الرسوم والرموز . ومن المحتمل أيضاً أن تلك الألفاظ العربية بقيت غير مفهومة من قبل رجال الكنيسة ، فعند تحويل الثوب الى لباس كهنوتي تركوها على حالها على سبيل الزخرفة البديعة .

أمّا فتوحات العرب في الشمال الشرقي من سويسرا فقد وصلت أخبارها الينا عن طريق « مدوّنات سان غال » للراهب « اكهارد » الرابع الذي يتحدث فيها عن فتح العرب لمدينة « سان غال — Saint-Gall » وهي عاصمة المقاطعة المسماة باسمها . كما يشير فيها الى اقامة العرب في مناطق جبال الألب .

ذكرنا من قبل أن العرب عند زحفهم من جبل « سان برنارد الكبير » توغلوا في مقاطعة « الفاليه — Valais » التي استقروا بها . ومن المواقع المهمة التي استولى العرب عليها في المقاطعة المذكورة ، بلدة « سان موريس — Saint - Maurice » الشهيرة بكنيستها التي تأسست في القرن الرابع الميلادي ، وفيها كنوز أثرية . وقد تحقق أيضاً قيام العرب بانشاء عدة أماكن لهم بقصد الاستقرار في أنحاء هذه المقاطعة وخاصة في وادي « ساس — Saas » القابع وسط جبال الألب الرائعة الجمال وذلك في الحقبة ما بين ٩٤٠م و ٩٦٠م ، وكان لاستقرارهم في ذلك الوادي النضير تأثير عميق يدل عليه بجلاء أسماء عربية الأصل لبعض جهاته منها قرية — Al Alain » ويقابلها بالعربية لفظ « على العين » والمقصود بالعين هنا ، الينبوع أي عين الماء ، وقرية « عين — Eien » ، ثم أعلى قرية في الوادي نفسه واسمها « Al Magell » وهو تحريف اللفظ العربي « المحل » لأنها كانت قاعدة عربية مهمة . وقد زار هذه القرية الأخيرة ، قبل زمن طويل ، أحد الصحفيين السويسريين ، وذكر أن سحن أهلها قريبة الشبه بسحن العرب . وكان من المستطاع السفر منها الى ايطاليا في زمن العرب عبر جبل اسمه « Monte Moro » أي جبل المور (يعني المغاربة) .

ثم ان العرب استولوا أيضاً على جبل « السّمبلون — Simplon » الشهير الذي يفصل


بلدة بونتريزينا في مقاطعة الجريزون تحيط بها الغ





ة ثم جبال الألب الشامخة



ثلاثة مناظر لممر جبل سان برنارد الكبير في سويسرا





اصمة مقاطعة الجريزون ، كوار (خور) أقدم مدينة ويسرية في سفح جبال الألب الشاسعة .

بين سويسرا وايطاليا ، ويبلغ ارتفاعه ٢٠٠٩ أمتار فوق سطح البحر . ومما يستحق الذكر أن اسم احدى جهاته ويدعى « Algaby » ، وهو على ما يبدو تحريف للكلمة العربيـة « الجباية » ، كانت مركزاً آخر لتحصيل المكوس من المسافرين المجتازين لممر هذا الجبل ، وهو نظام جمركي أدخله العرب في ذلك الزمن الغابر . وقد حفر في أوائل القرن الحاضر نفق في هذا الجبل ، وهو أطول نفق في العالم إذ يبلغ طوله حوالي عشرين كيلومتراً ، ويستعمل لمرور القطارات بين سويسرا وايطاليا . ومن المواضع التي أقام بها العرب في المقاطعة المذكورة قرية اسمها « بورج سان بيير — Bourg Saint-Pierre » ، وقد عثر فيها على لوحة منقوشة يرجع تاريخها الى القرن الحادي عشر الميلادي تشهد بأن العرب أقاموا في هذه الجهة .

ثم ان العرب انطلقوا من مقاطعة الفاليه غرباً في سويسرا الى أن وصلوا الى بلدة « أفنش — Avenches » التي أسسها الرومان وسموها « افنتيكوم — Aventicum » . وهي توجد اليوم في مقاطعة « فو — Vaud » التي تضم بعض جهات تدل أسماؤها على مرور العرب هناك ومنها «فياسارازيني—Via Sarasini»

أي « طريق الشرقيين » . وتقع في سفح جبال « الجورا — Jura » ، ثم « ترعة الشرقيين » ، وهو اسم أطلق على بركة قريبة من بلدة « اورب Orbe » . وفي القرن الماضي عثر على قطع نقود عربية قديمة أثناء حفريات جرت في بلدة « مودون — Moudon » . وقد جاء العرب الى شواطيء بحيرة « ليمان » التي تقع عليها مدينة جنيف . لكنهم لم يقيموا في جنيف وانما نزلوا في قرية اسمها « سان جوليان » بفرنسا على الحدود بين فرنسا وجنيف . كما أقاموا بجبل صغير شهير على الحدود أيضاً ، يطل على جنيف ، وبحيرة « ليمان » التي تسمى أيضاً بحيرة جنيف ، واسمه جبل « الساليف — Saleve » . ومن بين صخوره صخرة اسمها « حجر الشرقيين » لأن العرب استعملوها كنقطة مراقبة .

ويرى المؤرخ السويسري « ريبر » أن مجرد وجود عائلات اسم أفرادها — Sarrasin » و « Sarazin » تسكن الى يومنا هذا مدينتي جنيف وبازل ، يشير الى أن هذه التسمية تديم ذكرى عهد فتوحات العرب في سويسرا . أما علاقة العرب الفاتحين بأهل المناطق التي بسطوا عليها نفوذهم فيمكن القول بصفة عامة أنها كانت ودية . ودليل ذلك أن كثيرا منهم تزوجوا نساء من أهل البلاد . وفضلا عن التقرب اليهم بالمصاهرة فقد شرعوا يعملون في فلاحة الأرض والتجارة والحرف اليدوية . كما أن القليل منهم استوطنوا البلاد بعد جلاء العرب عنها . ومما أدخله العرب في مقاطعة الفاليه نظام «محاكم المياه » التي كانوا قد أدخلوها من قبل في الأندلس ، فسنوا أحكاماً مرعية لتوزيع مياه الري بالعدل والقضاء بالحق بين المتنازعين عليها من المزارعين .

هذا وقد انتهى عهد العرب في سويسرا في حوالي عام ٩٨٠ م وذلك عندما تحالف ضدهم كل من الكونت « غليام » صاحب مقاطعة آرل « في جنوب فرنسا » و « المرجراف هاردوان » صاحب مقاطعة « تورينو » في ايطاليا ، والكونت صاحب مقاطعة « بروفانس » في جنوب فرنسا حيث حشدوا جيوشاً قوية لمحاربتهم ، مما اضطر العرب الى الجلاء عن جنوب فرنسا وعن منطقة جبل « سان برنارد الكبير » وعن سويسرا نفسها التي استقروا بها زهاء سبعين سنة ●

د. زكي علي — جنيف



الطبيعة الفاتنة تضفي على الأحياء السويسرية طابعاً من النضارة والبهاء .



وادي ساس النضير وسط جبال الألب الشاهقة وقد قطن العرب فيه زمناً طويلا .



ممر جبل السمبلون .



أحد المناظر الطبيعية التي تجتذب السواح كل عام الى سويسرا

«راجع مقال فتوحات العرب في سويسرا»

تصوير : روبرت بال

نحتاج لعدة أطنان من صخور السجيل لنحصل على طن واحد من الزيت الخام .   راجع مقال «بدائل الزيت »   عن مجلة بولينث

